الصلاة

بين السنة والتبديل

بقلم : محمود حسين محمد شفيق

المكتب المصري الحديث
www. almaktabalmasry. com

الحمدُ للهِ وحدهُ لا شَريكَ لهُ

والصلاةُ والسلامُ عَلىَ مَن لا نَبيَ بَعدهُ

إِهدَاءٌ ؛؛؛؛؛

إِلىَ الْمَسجِدِ الْحَرَامِ الَّذي جَعَلَهُ

اللَّهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وأَمنَاَ.... .

نُهدِي بَاكُورَةَ أَعْمَالِنَا ؛؛؛؛

المؤلف

مقـــدمـــــة

لم يكن يدور بخلدي يوماً أن أخط كتابا يتعلق بأي أمر من أمور الدين مهما كان بسيطا أو صغير الحجم، فما أنا إلا رجل بسيط من عوام المسلمين، ولكن هكذا شاء الله سبحانه ولا راد لمشيئته، فقد تكشفت لي قضية هي من أخطر قضايا الإسلام المعاصرة، وربما تكون أخطر قضية في تاريخ الإسلام قاطبة ألا وهي قضية تبديل صلاة رسول الله ﷺ، والتي هي عماد الدين. فلقد تعلمنا الصلاة تواتراً أبا عن جد، عن جد، عن إمام المرسلين ﷺ إلا أنها في عصرنا ومنذ سنوات قليلة قد بدأت تأخذ أشكالا جديدة، ولم يكن لنا سالف عهد بها وذلك ما شغلني سنين طويلة بحثت خلالها عن الحقيقة واتجهت إلى المولى عز وجل سائلاً متضرعاً أن يهدينا إلى الحق حتى صرت على يقين والحمد لله رب العالمين أن ما نراه من تعدد في أشكال الصلاة وطرقها وخاصة في شهر رمضان وفى أثناء صلاة التراويح والتي تظهر فيها بوضوح وفى وقت واحد التعددية والاختلاف في أداء صلاة واحدة في دين التوحيد وإتباع خاتم النبيين والذي لا نبي بعده ﷺ، فقد صرت على يقين أن ما نراه ما هو إلا من محدثات الأمور، ولا علاقة له بسنة رسول الله ﷺ وكانت الفتاوى قد صدرت خلال الأعوام الماضية بجواز تعدد تلك الأشكال والطرق الصلاتية وذلك في النوافل فقط. فأخذت أبصر من حولي بخطورة تلك البدعة التي لا علاقة لها بالسنة المطهرة. ولم تنته تلك الفتاوى عند النوافل وحسب، بل أخذت تسري وتصدر رويداً.. رويداً حتي شملت الفريضة أيضا.. وذلك ما كنت أتوقعه. فقد صار أمر الصلاة وما آلت إليه في عصرنا مؤلما ومخيفاً، فأرسلت برسائل بتلك القضية إلى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر الشريف، وكذلك أرسلت إلى فضيلة مفتي الجمهورية. فأولئك هم أولو الأمر منا نرد إليهم الأمر ولا نختلف ولا نتشاحن ولا نتباغض ولا نتقاتل، وهم جديرون بأن يهيئوا للأمر تصحيحه الهادئ الحكيم. ولكن يبدو أن مشاغلهم وقضايا الإسلام والمسلمين في عصرنا العصيب قد حالت دون الاهتمام بهذه القضية وإعطائها حقها من المواجهة والمعالجة. وذلك ما دعاني أن أكتب عدة مقالات حول هذه القضية لنشرها بإحدى الصحف.. ولكني قبل أن انتهي من كتابتها تراجعت خشية أن يحدث ذلك فتنة بين الناس. فعدلت عن ذلك ورأيت أن أرجع وأعرض الأمر على أولي الأمر منا مرة أخرى.. ولقد

فعلت وعدت إلى أولي الأمر كما سوف يتبين ذلك من تسلسل المقال، وحينما رأيت أن اجمع ذلك في كتاب فقد أبقيت على صورته الأولى من مقالات، والتي كانت تحت عنوان رئيسي: من يحمي عماد الدين من التبديل.. ؟! ولم أغير منه شيئا. وعسى أن يكون كتابنا هذا هو خطوة هادئة في طريق التصحيح الهادئ من أجل حماية عماد الدين من التبديل. ونسأل الله العلي القدير أن يجنب مصر الفتن وأن يجنب بلاد المسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يهدينا إلى صراطه المستقيم وأن يجنبنا اتباع السبل.

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(الأنعام١٥٣)

ونحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وما توفيقي إلا بالله.

محمود حسين محمد شفيق
حلوان في غرة جمادى الأولى سنة ١٤٢٤هـ
الموافق: الأول من يونيو سنة ٢٠٠٣م

الباب الأول

من يحمي عماد الدين من التبديل.. ؟؟!

المقال الأول[1]

حول الحرب المعلنة ضد الإسلام والحرب الخفية

وسط خضم الأحداث الدامية التي تشهدها الساحة الإسلامية سواء كانت نتاج الحرب المعلنة ضد الإسلام والمسلمين أم كانت نتاج الخلافات والفرقة والصراعات بين المسلمين والتي غالبا ما تنتهي بالاقتتال بين المسلمين أو ما شابه ذلك من اغتيالات وتخريب وتدمير مما يترتب عليه إزهاق أرواح وإراقة دماء مسلمة بأيد مسلمة. وسط ذلك الخضم الهائل من الأحداث التي يعيشها المسلمون في عصرنا والتي يذرف لها القلب دما... تبرز قضية لا تقل في أهميتها عن تلك الأحداث بل ربما تفوقها خطورة وتأثيرا على الإسلام في حاضره ومستقبله. ومما هو مسلم به أنه ما من حرب معلنة إلا ويسبقها ويتخللها حرب خفية... وتلك الحرب الخفية ربما تكون أخطر أثرا مما هو معلن.. فالعدو الخفي أخطر وأدهى مما هو ظاهر.

ولقد شغلتنا لأكثر من عشرة أعوام مضت ظاهرة قد انتشرت في كثير من المساجد وبين المؤمنين ولم يكن لنا عهد بها من قبل، وهي ظاهرة قراءة القران من المصحف أثناء الصلاة، وبالرغم من أن تلك الظاهرة لم يتقبلها القلب ولم نفعلها ولم نتبعها.. أي أننا لم نطق أن نصلي وراء إمام يقرأ من المصحف أثناء الصلاة إلا أننا لم نعترض على فاعليها، وظللنا أعواما كثيرة نبحث عن مرجع تلك الظاهرة من سنة رسول الله ﷺ، حتى جاءنا اليقين والحمد لله أنها لا علاقة لها بالسنة المطهرة، وكانت الفتاوى قد صدرت أولاً بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء صلاة التهجد فقط، ثم أعقبتها الفتاوى بجواز إتباعها في صلاة النوافل بصفة عامة وهي صلاة التهجد وصلاة التراويح في شهر رمضان وصلاة الضحى... ثم أعقبها الفتاوى بجواز قراءة القرآن من المصحف في سنن الصلاة أيضاً.

فأخذنا نبصر المؤمنين بخطورة تلك البدعة وأن الهدف منها هو القضاء على حفظ كتاب الله في صدور المؤمنين والقضاء على سنة رسول الله وهما أشد مراكز القوى في الإسلام، وأن تلك البدعة سوف تظل تزحف وتتسلل حتى تعم كل الصلوات

---

[1] تنويه: المقالات الثلاث فى هذا الباب هى التى سلمنا نسخة منها لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكذلك سلمنا نسخة أيضا لمكتب فضيلة مفتي الجمهورية.

عبر السنين سواء كانت نافلة أم فريضة، وسوف تتعود الأجيال عليها جيلا بعد جيل. وبذلك يقضي على حفظ كتاب الله في صدور المؤمنين والذي هو أهم عوامل تثبيته في الصدور المؤمنة هو قراءة آياته عن ظهر قلب في الصلاة، فطالما أنه تجوز قراءة القرآن من المصحف في الصلاة فلا داعي إذن أن نحفظ آياته لكي نرددها في الصلاة عن ظهر قلب.. وحتى فاتحة الكتاب أيضا فلا داعي لحفظها، وبذلك يقضي

على سنة رسول الله عبر السنين وعلى مرور الأجيال.. وتصير صلاة المؤمنين صلاة وهمية وآلية، فكذلك يتبدل دين الله.

ومما هو مسلم به أنه قد قضي على الأخلاق والمعاملات في أغلب المجتمعات الإسلامية.. ولم يبق من الدين إلا العبادات، وإذا تبدلت العبادات فماذا يبقي من الدين؟!! إذا تبدلت العبادات فقد تبدل دين الله.

ولا يفوتنا بادئ ذي بدء أن نوضح معني حديث رسول الله ﷺ، والذي قد سمعناه كثيراً وقد تحرف مما يغير مفهوم الصلاة... وللأسف فقد استمعنا إلى أحد الخطباء يردده محرفاً في إذاعة القرآن الكريم.. فقد قال سيادته: (الصلاة عمود الدين)[1]. والنص الصحيح لحديث رسول الله ﷺ هو: (الصلاة عماد الدين) فمن أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين... وهناك فرق كبير بين العمود والعماد، فالعمود هو حامل له تعددية في المكان الواحد.. وربما يكون من الأعمدة ما هو وهمي أو للتزيين.. وربما يكون عموداً زائداً لا حاجة إليه.. وربما يستغني عن عمود أو بضعة أعمدة في المكان الواحد لإعادة التزيين.

أما العماد في الأصل اللغوي فهو القائم الوحيد الذي في وسط الخيمة والذي ترتفع عليه الخيمة وبدونه لا يمكن للخيمة أن ترتفع.. كما أن العماد أيضا هو ذلك القائم أو الساري الذي يرتفع عليه العلم والذي بدونه لا يمكن للعلم أن يرتفع.

وهكذا قد رأينا أن تغيير حرف واحد في حديث رسول الله ﷺ قد بدل المعني تماماً.. فما بين العمود والعماد إلا استبدال الألف بالواو، وما هو إلا مثل لتبديل حرف واحد في حديث رسول الله ﷺ، وعماد الدين لا يمكن أن يكون عماداً وهمياً أو تقليدياً من كرتون أو خلافه. فقد بين من لا ينطق عن الهوى ﷺ أوصاف ذلك العماد وصفاته وخصائصه كما سوف يستبين في مقالتنا القادمة بمشيئة الله.

---

[1] من كتاب الجامع الصغير للإمام السيوطي وفيه أيضا قوله ﷺ "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد". ومن هذا الحديث يتضح أيضا أنه عمود واحد. إذا فالصلاة عماد الدين (إضافة لم تكن موجودة بأصل المقال).

ويستمر الحديث عن تبديل سنة رسول الله ﷺ في الصلاة.. وقد تحقق ما كنا نخشى، ففي أحد الأيام من شهر يوليو عام ٢٠٠١ شاهدنا أحد أساتذة الدراسات الإسلامية يفتي بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة، وعلى الفور فقد قمنا بمراسلة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر نئن بالألم ونستجير ونستغيث وكذلك أيضا فقد أرسلنا بنص الرسالة إلى فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية في ذلك الوقت.

أرسلنا بتلك الرسائل وانتظرنا الرد بأية صورة وذلك لمدة شهرين تقريباً حتى قرأنا في جريدة الأهرام[1] فتوى صريحة تجيز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة.. وقمنا أيضا على الفور بتصوير تلك الفتوى وأرسلناها مع رسالة إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكذلك أرسلنا إلى فضيلة مفتي الجمهورية، كما أرسلنا أيضا بردنا على تلك الفتوى الزئبقية العجيبة إلى جريدة الأهرام وهاهو نص الرسائل التي أرسلناها.

(١) الفتوى بجريدة الأهرام، أنظر ملحق رقم (١).

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد ...

لقد تألمنا كثيراً لما رأيناه من تعدد في طرق أداء صلاة التراويح في كثير من المساجد في شهر رمضان في الأعوام السابقة، فإمام يمسك بالمصحف ويقرأ منه أثناء الصلاة ثم يغلقه ويعيده ويلبس النظارة ويخلعها مراراً أثناء الصلاة، وأمام آخر يضع المصحف على حامل أمامه ويقرأ منه أثناء الصلاة وكذلك يفعل كسابقه مع نظارته، وربما يكون هناك من يضع سماعات على أذنيه ويردد القرآن وراء المسجل وهو يؤم المسلمين في الصلاة.

ليس هذا فحسب، بل شاهدنا مؤخراً في التليفزيون من يفتي بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفرائض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وجراء ذلك فقد استولى علينا سؤال لم نجد له جواباً فقلنا نرفعه لفضيلتكم: هل سنة رسول الله ﷺ في النوافل هي أن يمسك المصلي بالمصحف ويقرأ منه أثناء الصلاة، أو يضع المصلي المصحف على حامل أمامه ويقرأ منه، أو يضع المصلي سماعات على أذنيه ويردد القرآن وراء المسجل؟! أو أن سنة رسول الله ﷺ في النوافل هي أن يفعلها كل على هواه وعلى حسب ما يتراءى له فيصير ما قدمنا كله صحيحاً وجائزاً، وما يجد من موضات في الصلاة فهو صحيح أيضا وجائز، إذن فهي سنة بلا سنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ننتظر رد فضيلتكم ونتشوق إليه، والله نسأل أن يمتعكم بموفور الصحة وأن يسدد على طريق الحق خطاكم، إنه نعم المولى ونعم النصير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمود حسين محمد شفيق

حلوان في ١٢ من جمادى الأولي سنة ١٤٢٢هـ

الموافق ٢ من أغسطس سنة ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل، مفتي الجمهورية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد ؛؛؛؛

لقد تألمنا كثيراً لما رأيناه من تعدد في طرق أداء صلاة التراويح في كثير من المساجد في شهر رمضان في الأعوام السابقة، فإمام يمد يده أثناء الصلاة ويتناول المصحف ويقرأ منه ثم يغلقه ويعيده ويلبس النظارة ويخلعها مراراً أثناء الصلاة، وإمام آخر يضع المصحف أمامه على حامل ويقرأ منه، وكذلك يفعل كسابقه مع نظارته، وربما يكون هناك من يضع سماعات على أذنيه ويردد القرآن وراء المسجل وهو يؤم المسلمين في الصلاة. ليس هذا فحسب، بل شاهدنا مؤخراً في التليفزيون من يفتي بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفرائض، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وجراء ذلك فقد استولى علينا سؤال لم نجد له جواباً فقلنا نرفعه لفضيلتكم: هل سنة رسول الله ﷺ في النوافل هي أن يمسك المصلي بالمصحف ويقرأ منه أثناء الصلاة، أو يضع المصلي المصحف على حامل أمامه ويقرأ منه، أو يضع المصلي سماعات على أذنيه ويردد القرآن وراء المسجل؟! أو أن سنة رسول الله ﷺ في النوافل هي أن يفعلها كل على هواه وعلى حسب ما يتراءى له؟! فيصير ما قدمنا كله صحيحاً وجائزاً وما يجد من موضات في الصلاة فهو صحيح أيضا وجائز، إذن فهي سنة بلا سنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ننتظر رد فضيلتكم ونتشوق إليه، والله نسأل أن يمتعكم بموفور الصحة وأن يسدد على طريق الحق خطاكم، إنه نعم المولى ونعم النصير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود حسين محمد شفيق

حلوان في ١٢ من جمادى الأولى سنة ١٤٢٢هـ

الموافق ٢ من أغسطس سنة ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد !!!!!

كنا قد أرسلنا إلى فضيلتكم برسالة بتاريخ ٢٠٠١/٨/٢ بخصوص قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء صلاة النوافل، ولقد ألمحنا في بدايتها إلى ذلك الذي أفتى في التليفزيون بجواز القراءة من المصحف أثناء الفرائض، ولكننا لم نعره اهتماماً سوى أن عقبنا عليه بالحوقلة والحسبنة، ثم فوجئنا بفتوى زئبقية عجيبة تصدر في جريدة الأهرام بتاريخ ٩/٢٤، بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفرائض والنوافل وهي التي بين أيديكم طيه.. ولقد أرسلنا بردنا عليها إلى جريدة الأهرام والذي قلنا فيه إننا لا نقبل فتوى في هذه القضية إلا إذا كانت صادرة من فضيلتكم أو من فضيلة مفتي الجمهورية.

لقد تحجرت الدموع في المقل بينما القلب يذرف دماً على ما يجري للإسلام والمسلمين في عصرنا، وإننا لا نخشى على الإسلام من أعدائه ولكن كل ما نخشاه هو تخريب الإسلام من داخله، فطالما أنه تجوز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة سواء كانت فريضة أم نافلة، إذاً فلا داعي أن يحفظ أحد آيات الكتاب لكي يصلي بها أو حتى فاتحة الكتاب، وذلك ما يرمي إليه أعداء الإسلام وهو أن ينتهي حفظ كتاب الله من صدور المسلمين وأن تصير صلاتهم بالله صلات وهمية، وبذلك يكونون قد ضربوا الإسلام في أقوى مراكزه، والآن وقد باتت المؤامرة الدنيئة على الصلاة وعلى حفظ كتاب الله في صدور المؤمنين واضحة جلية، فإننا نناشدكم بالله أن تقولوا كلمتكم في هذه القضية وأن تعلن في كل وسائل الإعلام قبل حلول شهر رمضان المعظم.. شهر القرآن والصيام والصلاة، لعل الله يستجيب لدعاء المسلمين فيكشف عنهم الغمة وينصرهم نصراً مبيناً فهو نعم المولى ونعم النصير، وكل عام وفضيلتكم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود حسين محمد شفيق

حلوان في ذكرى الإسراء والمعراج سنة ١٤٢٢هـ

الموافق ١٣ أكتوبر سنة ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد..

كنا قد أرسلنا إلى فضيلتكم برسالة بتاريخ ٢٠٠١/٨/٢ بخصوص قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء صلاة النوافل، ولقد ألمحنا في بدايتها إلى ذلك الذي أفتى في التليفزيون بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفرائض، ولكننا لم نعره اهتماماً سوى أن عقبنا عليه بالحوقلة والحسبنة، ثم فوجئنا بفتوى زئبقية عجيبة تصدر في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤ بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفرائض والنوافل وهي التي بين أيديكم عليه.. ولقد أرسلنا بردنا عليها إلى جريدة الأهرام والذي قلنا فيه إننا لا نقبل فتوى في هذه القضية إلا إذا كانت صادرة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أو من فضيلة مفتي الجمهورية.

لقد تحجرت الدموع في المقل بينما القلب يذرف دماً على ما يجري للإسلام والمسلمين في عصرنا، وإننا لا نخشى على الإسلام من أعدائه ولكن كل ما نخشاه هو تخريب الإسلام من داخله، فطالما أنه تجوز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة سواء كانت فريضة أم نافلة، إذاً فلا داعي أن يحفظ أحد آيات الكتاب لكي يصلي بها أو حتى فاتحة الكتاب، وذلك ما يرمي إليه أعداء الإسلام وهو أن ينتهي حفظ كتاب الله من صدور المسلمين وأن تصير صلاتهم بالله صلات وهمية، وبذلك يكونون قد ضربوا الإسلام في أقوى مراكزه، والآن وقد باتت المؤامرة الدنيئة على الصلاة وعلى حفظ كتاب الله في صدور المؤمنين واضحة جلية، فإننا نناشدكم بالله أن تقولوا كلمتكم في هذه القضية وأن تعلن في كل وسائل الإعلام قبل حلول شهر رمضان المعظم.. شهر القرآن والصيام والصلاة، ولعل الله يستجيب لدعاء المسلمين فيكشف عنهم الغمة وينصرهم نصراً مبيناً فهو نعم المولى ونعم النصير، وكل عام وفضيلتكم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود حسين محمد شفيق

حلوان في ذكرى الإسراء والمعراج سنة ١٤٢٢هـ

الموافق ١٣ أكتوبر سنة ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الكبير/ إبراهيم نافع. رئيس مجلس إدارة جريدة الأهرام ورئيس التحرير.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد..

نتشرف بأن نعرض على جريدة الأهرام الغراء والتي ارتبطنا بها منذ الصغر ما يلي بخصوص قضية هي في غاية الأهمية.. وهي قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة، وكنا قد أرسلنا إلى فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر الشريف، وكذلك أرسلنا أيضا إلى فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية وذلك بتاريخ ٢٠٠١/٨/٢م وذلك بخصوص تلك القضية، ولقد فوجئنا بجريدتكم الغراء تنشر فتوى لفضيلة الشيخ عبد الرحمن يعقوب بخصوص القراءة في الصلاة من المصحف وذلك في باب – فكر ديني – صفحة ٢٧ بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤م، وتلك الفتوى فحواها جواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة والنافلة.

ولقد بنيت الفتوى على عدة حجج أساسها الحجة الأولى وهي التي تقول: ولقد استدل جمهور العلماء على الجواز بأنه لم يدل على المنع دليل، وسوف نكتفي فقط بالرد على تلك الحجة عملاً بالمبدأ القائل: كل ما بني على خطأ فهو خطأ.

فكما نعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن كثير الكلام.. بل كان يقول، صلوات الله وسلامه عليه ": إنما أوتيت مجامع الكلم " ولو أنه صلوات الله وسلامه عليه قد عدد المنوعات في الصلاة وعدد ألف ممنوع، لخرج واحد بعد المنوع الألف ليقول " هذا لم يمنعه رسول الله في الصلاة. لذلك فإنا نراه قد أغلق الباب تماماً على الصلاة بأمر قد أصدره صلوات الله عليه قائلاً: صلوا كما رأيتموني أصلي، وقضي الأمر والحمد لله رب العالمين.

ولقد قال البعض أن معني الحديث الشريف؛ أن نأخذ فقط بشكل الصلاة من هيئة الوقوف والركوع والسجود وخلافه، فرددنا قائلين: إن المثلية تعني التطابق التام في الشكل والمضمون، وعلى ذلك فلا يجوز أن نقول كلمة واحدة في الصلاة لم يقلها رسول الله ﷺ في صلاته ولا يجوز أيضا أن نفعل إي فعل لم يفعله رسول الله ﷺ وعلى سبيل المثال فإن ماء الجير يشبه في شكله اللبن الحليب تماماً.. فهل نقول إن ماء الجير مثل اللبن الحليب؟! فمن يرد أن تكون صلاته مثل ماء الجير فليقرأ من المصحف أثناء الصلاة.

فالصلاة عبادة، ونحن لا نعرف كيف يعبد الله إلا بإتباع رسول الله ﷺ

هذا.. وبعد.. فالمنطق السليم يقول: إننا قبل أن نناقش ما هو متعلق بأمر ما.. لابد أن يكون لذلك الأمر مفهوم واضح لدينا، أي أننا قبل أن نناقش ما هو متعلق بالصلاة.. لابد أن يكون للصلاة مفهوم واضح لدينا جميعا، وكما هو واضح أنه ليس للصلاة مفهوم واضح في عصرنا، ولقد تبلور بحثنا كله في هذه القضية في سؤال بسيط يتخلله تعقيب خفيف وهو: هل سنة رسول الله ﷺ في الصلاة هي أن يمسك المصلي بالمصحف وهو يصلي ويقرأ منه؟! أو يضع المصلي المصحف أمامه على حامل ويقرأ منه؟! أو يضع المصلي سماعات على أذنيه ويردد القرآن وراء المسجل؟! أو أن سنة رسول الله ﷺ في الصلاة هي يفعلها كل على هواه وعلى حسب ما يتراءى له؟! فيصير ما قدمنا كله صحيحاً وجائزاً، إذن فهي سنة بلا سنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وما يجد أيضا من موضات في الصلاة فهو صحيح أيضا وجائز، إننا لا نثق في أية هيئة دينية في العالم مثلما نثق بالأزهر الشريف، وهذه القضية بالذات لا نقبل فيها فتوى إلا إذا كانت صادرة من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر أو من فضيلة مفتي الجمهورية، فهي ليست بالقضية الهينة كما يظن البعض، بل هي من أخطر قضايا الإسلام المعاصرة.. فهي قضية تمس عماد الدين.. وأمر يتعلق بالمقتل الوحيد للإسلام وهو الصلاة.. في عصر قد ضعف فيه المسلمون وقد تكاثر عليهم الأعداء، ولا ملجأ من الله إلا إليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود حسين محمد شفيق

حلوان في: ١٥ رجب سنة ١٤٢٢ هـ

الموافق: ٢ أكتوبر سنة ٢٠٠١م

انتهى نص الرسائل

ونستكمل قضيتنا بمشيئة الله تعالي في الصفحات التالية.. فسبحان من قوله الحق وهو يهدي إلى صراطه المستقيم.

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

وصلي الله وسلم على صاحب السنة المطهرة والتي من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل أبدا.

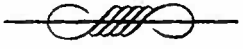

المقال الثاني

من يحمي عماد الدين من التبديل ؟!

وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا

لقد قلنا في ردنا على تلك الفتوى الزئبقية العجيبة التي صدرت بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤ بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة والنوافل، أن المنطق السليم يقول أنه قبل أن نناقش ما هو متعلق بأمر ما لابد أن يكون لذلك الأمر مفهوم واضح لدينا، وكما هو واضح أيضا أنه ليس للصلاة مفهوم واضح في عصرنا

فالمعنى الشائع للصلاة هي أنها دعاء.. وهذا المعني غير صحيح لحقيقة الصلاة في الإسلام، وإذا كان المعنى اللغوي للصلاة في الأصل الدعاء إلا أن ذلك المعنى لا ينطبق على الصلاة في الإسلام، وإذا كان الدعاء يشكل جزءا يسيرا في الصلاة إلا أنه ليس كل الصلاة، وإذا كان للصلاة والدعاء معني واحد في الإسلام إذن فهما أمر واحد، فما معنى الدعاء قبل الصلاة أو بعدها؟؟! إذن لابد أن يكون للصلاة معنى آخر غير الدعاء، إذن فعلينا أن نبحث عن مفهوم للصلاة، فمن الأوصاف والصفات والخصائص يستدل على المعانى والتي تتجمع في مفهوم واحد.

ولقد هدانا المولى عز وجل إلى مفهوم للصلاة مستنبطا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ونستطيع على ضوئه أن نناقش كل ما هو متعلق بالصلاة، وبدء ذي بدء نود أن نشير إلى أننا سوف نتبع في بحثنا هذا أسلوبا غير التقليدي والذي لا نجيده.. وقديما قالوا خير الكلام ما قل ودل فما بالك ونحن في عصر (الفمتو – ثانية).

وقبل أن نقدم مفهوما للصلاة مستنبطا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ نجد أنه لزاما علينا أن نعرف الصلاة أولا:

- **تعريف:** الصلاة هي القاعدة الثانية من القواعد الخمس التي بني عليها الإسلام وهي فريضة تعبد تؤدى خمس مرات كل يوم كما كان يؤديها رسول الله ﷺ.
- **مفهوم الصلاة:** الصلاة هي إقرار بالطاعة والعبودية والتوحيد لرب العالمين.. وفى ذلك إقرار بإتباع رسول الله ﷺ.

- إرشاد وتوضيح: أي أفعال يقال عنها صلاة وتخرج عن اتباع رسول الله ﷺ فهي ليست بصلاة بل هي تبديل لدين الله، فالإسلام شهادتان وليس واحدة، لا إله إلا الله محمد رسول الله، ففي الأولي إقرار بالتوحيد وفى الثانية إقرار بالاتباع، ولا يحق التوحيد بدون اتباع رسول الله ﷺ فبرغم انتقال رسول الله ﷺ إلى عالم الغيب إلا أنه مهيمن على رسالته وسوف يظل كذلك إلى أن تقوم الساعة، قال رسول الله ﷺ: " خير الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه يبعث وفيه تعرض صلاتكم علي، قيل وان كنت ميتا يا رسول الله قال: نحن معاشر الأنبياء قد حرم الله على الأرض أن تأكل أجسامنا "، {رواه ومسلم} ويقول عز من قائل:

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (التوبة ١٠٣)

فكيف تعرض صلاة المؤمنين على رسول الله ﷺ كل يوم جمعة... وكيف يصلي رسول الله ﷺ على المؤمنين وقد انتقل إلى عالم الغيب؟ فنحن لا نعرف الكيفية التي يتم بها ذلك، فتلك أمور غيبية، والدين كله مبني على الإيمان بالغيب، والعقل بمدركاته الحسية المحدودة قاصر عن إدراك الغيب، إذن فما على العقل إلا أن يعلن استسلامه وتسليمه لرب العالمين.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (البقرة ٢٠٨)

الإسلام هو استسلام العقل، هو التسليم لله، هو الدخول في أسر الله. وعلى الأسير أن يتبع أوامر آسره.

فكيف نتبع أوامر الله سبحانه وتعالى وكيف نعبده وكيف نوحده؟ فنحن لا نعرف إلا باتباع رسول الله ﷺ، لم يترك الله سبحانه وتعالى الأمر سدى حتى يعبد الله كل على هواه وعلى حسب ما يتراءى له، بل قد جعل طريقا وحيدا لعبادته وتوحيده وهو إتباع رسول الله ﷺ.

كان ذلك هو المفهوم العام للصلاة وتوضيحاً له.. أما المفهوم الخاص للصلاة فهي الذلة والانكسار لرب العالمين، وهل هناك ذلة وانكسار لرب العالمين أكثر من أن رسول الله ﷺ قد جعل الأنف وهي رمز الشموخ في الإنسان، قد جعلها شرطا أساسيا أن تمس الأرض في موضع السجود وذلك لصحة الصلاة، قال رسول ﷺ: " أمرت أن اسجد على سبعة أعظم على الجبهة وأشار بيده إلى أنفه واليدين

والركبتين وأطراف القدمين ولا نكفت الثياب والشعر ". رواه البخاري ومسلم. وفي السجود أيضا قال رسول الله ﷺ: " لا صلاة لمن لا يصيب أنفه من الأرض ما يصيب الجبين ". رواه الدارقطني والطبراني. ومن أحاديث رسول الله ﷺ السابقة تتجلى المعاني العلا للصلاة في الإسلام، فالسجود عبودية قبل أن تمس الجبهة الأرض.. وفي مس الجبهة الأرض زيادة في العبودية، ثم في استواء الجبهة مع الأنف على الأرض في موضع السجود تتجلى أعلى شواهد العبودية لرب العالمين، ويظل العبد يتقرب إلى الله بالعبودية ألحقه حتى يدخل جنة القرب وحينئذ يشعر باللذة والمتعة والنعيم في العبودية لرب العالمين فيسأل الله ما يشاء فيعطي إن شاء سبحانه وتعالى جل شانه وعظم سلطانه وسطعت بالحق أنواره، قال رسول الله ﷺ: " أقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد " {رواه مسلم والبيهقي}. فانتبه أيها المؤمن ولا تنس أن تخلع نظارتك قبل الصلاة حتى لا تشعرك بالقلق أثناء السجود فلا يستوي الأنف مع الجبهة على الأرض في موضع السجود فيضيع خشوعك وتخرج عن السنة المطهرة.

لم يجعل رسول الله ﷺ قراءة القرآن في الصلاة شرطا لصحة الصلاة، بل يسر قراءة القرآن في الصلاة إلى أبعد الحدود حتى أنه صلوات الله وسلامه عليه قد جعل الصلاة تصح بفاتحة الكتاب وحدها وذلك للفذ (الفرد) وبفاتحة الكتاب وآية واحدة للذي لا يحفظ إلا قليل القليل من القرآن ولا يوجد غيره في الجماعة حافظا للقرآن أكثر منه وهو يؤمهم في الصلاة، وكان رسول الله ﷺ يقول: " ما أنزل الله عز وجل في التوراة والإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أتيته ". {رواه النسائي والحاكم}، والمقصود بأم القرآن هي فاتحة الكتاب التي يسر بها رسول الله ﷺ الصلاة إلى أبعد الحدود كما جاء أيضا في رواية للبخاري أن رسول الله ﷺ قد أمر المسئ صلاته أن يقرأ بفاتحة الكتاب في صلاته، ليس ذلك فحسب بل قال رسول الله ﷺ لمن لم يستطع حفظ فاتحة الكتاب ويريد أن يصلي: " قل سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ". {رواه أبو داود وابن خزيمة والحاكم والطبراني وابن حيان}، وقال رسول الله ﷺ للمسئ صلاته: " فإن كان معك قرآن فاقرأ به وإلا فاحمد الله وكبره وهلله " {رواه أبو داود والترمذي}.

كان ذلك تيسير رسول الله ﷺ للصلاة.. أما شرط صحتها الأساسي والتي لا تصح إلا به فهو الذلة والانكسار لرب العالمين كما بينا من قبل، ولم ترفع الصلاة وقت قتال العدو.. بل فرض الله سبحانه وتعالى صلاة خفيفة وقت قتال العدو.. ولقد بينها رسول الله ﷺ والحكمة من تلك الصلاة هي أنه حينما يؤدي المقاتل المؤمن فريضة الذلة والانكسار لرب العالمين فإنه بذلك ينفي الحول والقوة عنه ويرجع الأمر كله لله، فلا يلعبن به الشيطان وقت قتال العدو ويظن أن القوة قوته وأن الشجاعة

شجاعته وأن احتراف القتال هو لعبته وأن النصر الذي هو آت ولا ريب هو نصره.. بل يرجع الأمر كله لله ولا يشغلن باله إلا أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، .. حينئذ يتحقق قول الله عز وجل:

نص الآية ١٧ من سورة الأنفال:

وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى

وحينئذ تصير العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، لقد كانوا رجالاً أحبهم الله فكان سمعهم وكان بصرهم وكان أيديهم التي بها يبطشون وكان أرجلهم التي بها يمشون، رجال أحبهم الله فرمى بأيديهم العدو فكان لهم العزة والسيادة في الارض.

وأما عن النوافل.. فالنافلة في الأصل اللغوي هي الزائدة.. وفى الدين كل ما زاد عن الفريضة فهو نافلتها، فنافلة الشهادتين هي ذكر الله والصلاة على النبي.. ونافلة الصلاة هي كل ما زاد عن الصلوات الخمس. وكذلك فريضة الزكاة فهي محددة أيضا ونافلتها هي الصدقات وهي غير محددة.. يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى.. ويظل يتصدق من مال الله الذي استخلفه فيه ويظل يتصدق ويتقرب إلى الله حتى يحبه الله، والصيام أيضا فريضته شهر رمضان ونافلته هي صيام التطوع طوال العام والتي يظل يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل حتى يحبه، وكذلك الحج أيضا فريضته مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا.. وكل ما زاد عن ذلك سواء كان حجاً أم عمرة فهو نافلة فريضة الحج يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل حتى يحبه

ولقد قال رسول الله ﷺ في الحج: " خذوا عني مناسككم " فهل ذلك الحديث الشريف ينطبق فقط على الحجة الأولى وهي الفريضة وما يتلوها من نافلة الحج سواء كان حجاً أو عمرة فيجوز أن يفعله كل على هواه وكما يتراءى له !!؟ وفريضة الصيام في شهر رمضان تبدأ من الفجر حتى الغروب.. فهل يجوز في صيام التطوع أن نصوم من الفجر حتى العصر أو من الظهر حتى العشاء !!؟ ربما يخرج علينا في الغد من يفتي بذلك ولكنهم سوف يتشددون ويقولون أن ذلك لا يجوز إلا في صيام التطوع فقط كما تشددوا في الصلاة وأفتوا أولا في النوافل وها هم قد انتهوا بالفرائض فأفتوا بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة والنافلة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إذن فنافلة الشئ هي زائدته ولا بد أن تكون من أصل نوعه وتحمل كل خصائصه.. ومما تقدم يتضح أن كل ما هو حج سواء كان فريضة أم نافلة يخضع لأمر رسول الله ﷺ {خذوا عني مناسككم} وكذلك أيضا كل ما هو صلاة سواء كان فريضة أو نافلة أو حتى الصلاة على الميت فهو يخضع لأمر رسول الله ﷺ {صلوا كما رأيتموني أصلي}[1] وإذا كانت زائدة الشهادتين أو نافلتها هي ذكر الله والصلاة على النبي.. وإذا كانت الصلاة أيضا من خصائصها ذكر الله والصلاة على النبي.. وإذا كانت قراءة القرآن هي أعلى ذكر لله.. إلا أنه بالرغم من ذلك كله فإن للصلاة كيفية شاملة إذا دخل عليها قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة أفسدتها وأضاعت الصلاة والذكر معا.. ولكي نتعرف على الهدف من قراءة القرآن وليس في الصلاة.. بل هي قراءة القرآن في إي وقت، فلنتأمل أحاديث رسول الله ﷺ التالية:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ {من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول (الم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف} ، رواه الترمذي وقال حديث صحيح، وكما هو واضح من ذلك الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ لم يشترط أن تكون قراءة القرآن في الصلاة.. ولم يرد ذكر الصلاة في ذلك الحديث الشريف.. وإنما قراءة القرآن في إي وقت هي ذكر لله لمن يشاء أن يذكر، وأما الغاية من قراءة القرآن التي امرنا الله سبحانه وتعالى بها في كثير من آيات الكتاب وكذلك أيضا قد أمرنا رسول الله ﷺ ما يلي: عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول {اقرءوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه} رواه مسلم. وكما هو واضح من حديث رسول الله ﷺ أن شفاعة القرآن هي مقصورة على أصحابه وليس لكل قرائه، ولكي نتعرف على الصحبة التي يقصدها رسول الله ﷺ فلننظر إلى المثل الأعلى للصحبة في تاريخ البشرية وهي صحبة سيدنا أبو بكر رضي الله عنه لسيدنا رسول الله ﷺ في حياته وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى.. فما كانت إلا حباً تولد منه إخلاص وإيثار وتضحية وفداء حتى تخلل المحبوب في المحب، فكذلك يجب أن تكون الصحبة مع القرآن.. حباً وإخلاصاً وإيثارا ووفاءً وعملاً حتى يتخلل القرآن في صاحبه وذلك ما وضحه حديث رسول الله ﷺالتالي: فعن النواس بن سمعان رضي

[1] نص الحديث (توضئوا جميعا وصلوا كما رأيتموني أصلى) كما جاء فى رواية الصحيحين البخارى ومسلم.

الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تتقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما {رواه مسلم}. وذلك ولا نزيد وليفهم كل ذي عقل. ولا حول ولا قوة إلا باله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والمبدأ العام لكل ما هو فريضة أو نافلة هو قول رسول الله ﷺ: (إن الله طيب لا يقبل إلا ما هو الطيب)[1] ، وطيب الصلاة هو صلاة رسول الله ﷺ. وكل ما هو نافلة فهو طريق التقرب إلى الله عز وجل والترقي إلى المقامات العلا واجتذاب حبه سبحانه وتعالي وذلك ما جاء في حديثه القدسي والذي رواه المصطفي ﷺ عن رب العزة {وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه} والطريق الوحيد لحب الله ورضائه هو إتباع رسول الله ﷺ

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

أل عمران ٣١. وأعلى نافلة للصلاة هي نافلة التهجد والتي نص عليها الكتاب فكانت الطريق إلي المقام المحمود لرسول الله ﷺ وطريق الترقي لأتباعه من المؤمنين ولا ترقي لمن خالف رسول الله ﷺ.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً الإسراء من (٧٩ ـ ٨١)

فسبحان من انفرد بالوحدانية وتجلت دلائل أنواره علي الوجود بالأحدية.. وصلي الله وسلم على صاحب السنة المطهرة والتي من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل أبدا. ونستكمل حديثنا بمشيئة الله تعالي في العدد القادم والله المستعان.

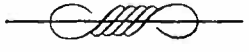

[1] عن ابن عباس رضى الله عنهما كما جاء فى أسباب النزول الآية الأخيرة من سورة الكهف وسوف يأتي ذلك بالتفصيل فى الباب الثالث

المقال الثالث

من يحمي عماد الدين من التبديل!؟

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

سورة النور آية ٦٣

لقد تحدثنا في المقال السابق عن المفهوم العام للصلاة وقلنا إنه إقرار بالطاعة والعبودية والتوحيد لرب العالمين، وفى ذلك إقرار باتباع رسول الله ﷺ. وقلنا أيضاً إن المفهوم الخاص للصلاة هو الذلة والانكسار لرب العالمين، ثم تحدثنا أيضا عن النوافل وقلنا إن النافلة في أصلها اللغوي هي الزائدة.. وفى الدين كل ما زاد عن الفريضة فهو نافلتها أو زائدتها.. ولكل فريضة في الدين نافلة لابد أن تكون من أصل نوعها وتتمتع بكل خصائصها.

والصلاة قوامها الخشوع وهو أول سمة فلاح المؤمنين كما جاء في أول سورة المؤمنون:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

والخشوع هو سكون النفس ودلائله سكون الأعضاء.. ولقد بين رسول الله ﷺ هيئة الصلاة والكيفية التي يتهيأ بها كل عضو من أعضاء الجسم حتى يؤتي سكونه وتؤتى النفس خشوعها، ولسوف نركز على أهم أعضاء الجسم في قضيتنا وهو العين. فان الخشوع في الصلاة يستوجب سكون العين وعدم انشغال إنسان العين بأي شئ على الإطلاق أثناء الصلاة.. فموضع خشوع العين والذي يترتب عليه سكون أعضاء الجسم جميعا فتؤتي النفس خشوعها لا يتأتى إلا بالنظر إلى موضع السجود كما بين رسول الله ﷺ {كان رسول الله ﷺ إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض} رواه الحاكم والبيهقي، وفى حديثه الشريف يقول ﷺ {إذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت} رواه الترمذي والحاكم، وقال ﷺ: {لا يزال الله مقبلا على العبد في صلاته ما لم يلتفت}، فإذا صرف وجهه انصرف الله عنه} رواه أبو داود وابن خزيمة وابن حبان.

وإذا كانت قراءة القرآن من المصحف عبادة، والصلاة أيضا عبادة إلا انه لا يجوز الخلط بينهما؛ فللصلاة هيئة وصفات وخصائص كما بينها رسول الله ﷺ،

فالصلاة من أسرار أنوار النبوة ولا يمكن تناولها بالعقل، وإلا فقل لي بالله عليك لماذا فريضة الصبح ركعتان بينما كل من فريضة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات وفريضة المغرب ثلاث ركعات؟!! وإذا كنت لا تستطيع أن تجيب على ذلك السؤال وهو من عديد الأسئلة التي لا يمكن حصرها في هذا المقام، فلماذا نركع مرة واحدة في كل ركعة بينما نسجد سجدتين؟!!

وفصل القول للحق سبحانه وتعالى.. فما العبادات في مجملها إلا ترجمان لطاعة الله وطاعة رسوله:

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ المائدة (٩٢)

وهي دلائل اتباع رسول الله ﷺ، ولو علم التابع كل شئ من أسرار أوامر المتبوع لما كان ثمة فرق بين التابع والمتبوع، فما بالك والمتبوع هو رسول الله ﷺ، وقد بينها رسول الله ﷺ ووضع ضوابطها، وليس للصلاة كسائر العبادات من ولاة أمر سوى ولي أمر واحد وهو رسول الله ﷺ وهو الذي أصدر أمرا شاملا جامعا لكل ما هو صلاة قائلا (صلوا كما رأيتموني أصلي) وقضي الأمر والحمد لله رب العالمين وسبحان من بيده الأمر ويرجع إليه الأمر كله وهو يجير ولا يجار عليه، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين وهو الذي أمرنا أن نعض على كتاب الله وسنة رسوله بالنواجذ.

ومن النماذج الفريدة للصلاة في الإسلام صلاة ذلك الصحابي الجليل عروة بن الزبير رضي الله عنه، وذلك حينما رأى الطبيب أن لا مفر من بتر ساقه، فقال عروة رضي الله عنه لأصحابه: دعوني أصلي فإذا سجدت فافعلوا بي ما تشاءون. وبالفعل فقد صلى عروة رضي الله عنه وبينما هو في سجوده قام الطبيب ببتر ساقه، ولم يصرخ ولم يتحرك وكأنه لم يكن يشعر بجسمه أثناء سجوده، فتلك هي الصلاة في الإسلام، نفس سكنت أعضاؤها فكانت في تمام الخشوع بين يدي الله عز وجل.

ومما تقدم نرى أن قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة سواء كانت فريضة أم نافلة ما هي إلا بدعة قد تزينت في صورة التقوى والورع وفى باطنها هدم لدين الله وذلك في عصر قد صار الغش فيه سمة من سماته، حتى أن غش آيات القرآن الكريم من المصاحف أثناء تأدية الطلاب للامتحانات التحريرية في كثير من كليات الجامعة التي هي مقرر فيها على طلابها حفظ بعض سور القرآن الكريم أو بعض أجزائه قد صار أمرا يكاد أن يكون متعارفا عليه، وهكذا أيضا قد تسرب

الغش إلى الصلاة حتى كاد أن يعمها بصدور تلك الفتوى الزئبقية العجيبة التي صدرت بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤ بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة والنافلة وما سبقها من فتاوى فندقية وفتاوى الأبراج العاجية التي قد صدرت في ذلك الأمر، ومما يدعو للريبة أنه لا يستطيع واحد من السادة العلماء الأفاضل الذين أفتوا في هذه القضية بالجواز أن يقول أنه أفتى نتيجة بحثه في سنة رسول الله ﷺ أو أن هناك لجنة من علماء المسلمين قد اجتمعت وأصدرت تلك الفتوى وسار على نهجها، بل يبدو أن مصدر الفتوى مجهول ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وليس مقصدنا أن نبكت القوم أو أن نسفه أحلامهم، ولكننا نذكر بقول الله عز وجل:

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (النساء ١٧)

أما بعد أن قدمنا مفهوما للصلاة مستنبطا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وناقشنا علي ضوئه النوافل وقراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة فلنرجع إلي تلك الفتوى الزئبقية العجيبة التي صدرت بجريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤ ولنحاول الإمساك بكلماتها المتأرجحة حتى نرد عليها، وحتى لا يظن أحد أننا قد هربنا من الرد عليها، وكنا قد أرسلنا إلى جريدة الأهرام واكتفينا بالرد علي الحجة الأولى فقط عملا بذلك المبدأ القائل أن كل ما بنى علي خطأ فهو خطأ. والآن فلنرد على بقية الحجج التي قد جاءت بتلك الفتوى، وأما عن قصة ذكوان مولى السيدة عائشة ﷺ وقراءته للقرآن من المصحف أثناء الصلاة والتي رواها الإمام ملك رحمة الله عليه، فإننا نتساءل عن الحجة التي استند إليها ذكوان من سنة رسول الله ﷺ؟!!وهل كان ذلك في حياة النبي ﷺ وقد علم به وأجازه، أم كان ذلك بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى؟!.

ولقد أجمعت كتب السيرة والأثر على أنه لم يكن لدى أم المؤمنين السيدة عائشة ﷺمصحف فمن أين إذن قد أتى ذكوان بذلك المصحف؟! إنما الذي كان لدي السيدة عائشة ﷺ هو جمع ناقص للقرآن الكريم مكتوب علي أكتاف عظام الإبل والغنم وجريد النخل ورقاع من جلد وأحجار رقيقة بيضاء - ونعتقد أن ذلك يملأ حجرة كبيرة - أما القرآن الكريم فقد كان محفوظا في صدور الرجال وكان ذلك سبب خشية الفاروق عمر ﷺ علي ضياع القرآن بعد أن استشهد الكثيرون من حفظة القرآن في حرب الردة، وظل يلح علي خليفة رسول الله ﷺ حتى

وافق سيدنا أبو بكر ﷺ وطلب من زيد بن ثابت ﷺوكان أحد كتبة الوحي أن يجمع القرآن، وقام بتسليمه ما كان في حوزة السيدة عائشة ﷺ من جمع ناقص للقرآن. ولقد عانى زيد بن ثابت ﷺ الكثير في جمع القرآن وخاصة ما كان محفوظا منه في صدور الرجال فقط ولم يكن قد كتب بعد حتى أنه ﷺ لم يجد آيتين من سورة التوبة إلا في صدر رجل واحد وهو خزيمة بن ثابت ﷺ وهما:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) (التوبة)

وحينما انتهى زيد بن ثابت ﷺ من جمع القرآن بين اللوحين قام بتسليمه لسيدنا أبى بكر ﷺ وهو أول من سماه مصحفا. ولقد ظل المصحف الوحيد لدي سيدنا أبى بكر ﷺ إلى أن انتقل إلى جوار ربه. ثم أنتقل المصحف الوحيد ألى أمير المؤمنين الفاروق عمر ﷺ والذي ظل في حوزته أيضا إلى أن استشهد وانتقل إلي جوار ربه ثم أنتقل ذلك المصحف الوحيد إلى حوزة أم المؤمنين السيدة حفصة بنت عمر ﷺ، وقد ظل ذلك المصحف الوحيد في حوزتها إلي أن طلبه منها سيدنا عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ﷺ والذي أمر بنسخ عدة نسخ منه وبعث بها إلى الأمصار.

وإذا ثبت أن ذكوان مولى السيدة عائشة ﷺ كان يقرأ القرآن من جريد النخل وغيره والذي كان لدي السيدة عائشة ﷺ فهي إذن سنة ذكوان وليست سنة رسول الله ﷺ، لقد أمرنا الله تعالي أن نتبع رسول الله ﷺ ولم يأمرنا أن نتبع أحداً غيره:

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (آل عمران ٣١)

ولم يأمرنا رسول الله ﷺ أن نتبع أحدا غيره في الصلاة وكما هو واضح من تلك الكلمات بتلك الفتوى الزئبقية أن الإمام مالكاً رحمه الله قد روى فقط قصة ذكوان مولي السيدة عائشة ﷺ ولم يفعل تلك البدعة ولم يجزها. وأنه ليحضرنا قول الإمام مالك رحمة الله عليه وهو يشير بسبابته إلي قبر رسول الله ﷺ قائلا:كل كلام يرد عليه إلا كلام صاحب هذا القبر، كما يحضرنا أيضا قول سيدي الإمام مالك رحمة الله عليه والذي كثيرا ما كان يردده في نهاية فتواه: هذا منتهى علمي واجتهادي بسنة رسول الله ﷺ فإذا وجدت فيه ما يوافق السنة المطهرة فخذ به أما

إذا وجدت فيه ما يخالف سنة رسول الله ﷺ فاضرب بكلامي عرض الحائط ولا تأخذ به فصاحب السنة أحق أن يتبع.

وأما الحجة التي استعصى علينا فهمها أو ما هو المقصود منها فهي التي جاءت بتلك الفتوى تقول:وسئل الزهري عن رجل يقرأ القرآن في رمضان من المصحف فقال: كان خيارنا يقرءون في رمضان من المصحف فلا نعرف حقيقة ما هو المقصود بتلك العبارة؟ فإذا كان المقصود بها هو قراءة القرآن من المصحف أثناء صلاة التراويح أو التهجد فإننا لا نعرف صراحة أن من بين المذاهب الإسلامية مذهباً يسمى بالمذهب الزهري ولقد تقدم قول الإمام مالك رحمه الله وهو صاحب المذهب المالكي ولن نزيد، وليفهم كل ذي عقل.

فمعذرة فضيلة العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن يعقوب وكل من أفتى بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة فقد رأينا في تلك الفتوى تبديلا لدين الله فها هي صلاة رسول الله ﷺ قد تحولت إلي موضات فصلاة علي الطريقة الإسرائيلية وصلاة علي الطريقة الأمريكية، فالذي يمسك بالمصحف وهو يصلي فما أشبهه باليهود في صلاتهم، ولا علاقة له بسنة رسول الله ﷺ والذي يضع المصحف على حامل أمامه ويقرأ منه أثناء الصلاة، فهو يصلي على الطريقة الأمريكية ولا علاقة له بسنة رسول الله ﷺ، أما الذي يضع سماعات على أذنيه ويردد القرآن وراء المسجل أثناء الصلاة فهو يصلي على طريقة {الدانس العالمية} وربما يأتي إلينا في الغد من يحمل الدكتوراه من جامعة موسكو لكي ينشر علينا الصلاة على الطريقة الروسية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ولقد لفت نظرنا مصحف ضخم قد انتشر في كثير من المساجد مكتوب عليه (مصحف التهجد)، ولم نر من قبل كتاب الله إلا مكتوبا عليه قرآن كريم أو القرآن الكريم عملا بتلك الآيات من كتاب الله والتي تقول

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (الواقعة ٧٧ ـ ٨٧)

ولا نعرف أن هناك مصحفاً للفريضة ومصحفاً للفريضة ومصحفاً للبدعة ومصحفاً للتهجد.

وذات يوم ذهبنا إلى أحد المساجد وقد اصطحبنا معنا دفتراً وقلما بغية أن نجد في تذييل ذلك المصحف (أي الصفحات الأخيرة منه) حجة من سنة رسول الله ﷺ نهتدي بها، وهو مصحف ضخم الحجم ثقيل الوزن لونه اخضر داكن، فوضعناه عن

اليمين، وإقتداء بالسلف الصالح فقد صلينا ركعتين ودعونا الله أن يفتح علينا فتوح العارفين بحكمته وأن ينشر علينا رحمته، ثم فتحنا ذلك المصحف الضخم وأخذنا ننظر في تذييله ونعيد النظر ونزيد، والحقيقة أننا لم نجد به كلمة واحدة تستحق البحث والدراسة فكل ما وجدناه في تذييل ذلك المصحف هو افتراء يبكي وطرفة تضحك، أما الافتراء فهو ذلك القول الذي هو منسوب به لفضيلة إمامنا الأكبر الراحل الدكتور/ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر رحمه الله وهو أنه قد رحب بذلك العمل وكان يتمنى أن يراه قد خرج إلى النور لولا أن الأجل لم يمهله، ولم يقدموا أي دليل على ذلك ولم تصدر عن الأزهر الشريف فتوى في هذه القضية على الإطلاق، ولقد كان إمامنا الجليل رحمه الله علما من أعلام أهل التصوف في عصره ولقد استفدنا كثيرا من علمه ومازلنا ننهل من علمه الفياض رحمه الله ولا نعتقد أن فضيلته قد سمع بهذا العمل على الإطلاق والذي قام بنشر ذلك المصحف هو " دار الصفوة للنشر " بمدينة الإسكندرية، أما الطرفة المضحكة أنه كما يقولون في تذييل ذلك المصحف أنهم أرادوا بذلك العمل إدخال التكنولوجيا الحديثة على الصلاة وهم يصفون الجهد والعناء الذي بذلوه حتى يجمعوا ربع الحزب في صفحة واحدة حتى يتسنى للإمام أن يقرأ ربع الحزب في الركعة الواحدة دون أن يضطر إلى تحريك يده.

وبعد ذلك الاختراع التكنولوجي الرائع لعلهم يستطيعون في معمل التكنولوجيا "الصلاتية" أن يخترعوا إنسانا آليا ينوب عن المصلي في أداء الصلاة فيكون اختراع القرن الواحد والعشرين بلا منازع، فهكذا هي سادة بينما البعض يفضلونها بالتكنولوجيا، أمزجة وأهواء، ويبدو أن الناشر قد تنبه إلى ما جاء في تذييل ذلك المصحف من حجج سفيهة فأصدر طبعة أخرى من ذلك المصحف وهو مصحف بني اللون اكبر حجما من سابقه واخف وزنا، وقد استبدلوا تلك الحجج السفيهة بتلك الحجة العجيبة والتي رأيناها قد صدرت مؤخرا في جريدة الأهرام، وإن كانت في تذييل ذلك المصحف مقصورة فقط على صلاة النوافل.

وخلاصة القول: أن ليست الصلاة أهواء وأراء وجدلا عقيما وفتاوى عرجاء، إنما هي صلاة واحدة مثيلتها واحدة مثيلة صلاة رسول الله ﷺ، فليست الصلاة من المصالح المرسلة التي يجوز التصرف فيها وفق مصلحة الجماعة بما لا يخالف القرآن والسنة، إنما الصلاة هي من ثوابت العبادات التي لا يجوز التصرف فيها على الإطلاق، فهكذا أراد الله سبحانه وتعالى أن نعبده كما بين رسول الله ﷺ، وإذا كنا لا نتبع رسول الله ﷺ في الصلاة ففي أي شئ نتبعه؟!! وما قدمنا إلا أحد مبادئ

الفقه الأساسية التي أرساها أولئك الفقهاء الحقيقيون الذين تصدوا لحماية دين الله من التبديل والتحريف عبر العصور، ولا نري انه يحتاج منا إلى شرح وتوضيح.

ولا يفوتنا أن نلقي الضوء مرة أخرى قبل الخاتمة على ذلك المفهوم الخطأ للصلاة والذي انتشر بين المسلمين وهو أن الصلاة دعاء، فما ذلك المفهوم الخطأ للصلاة إلا نهاية البداية للعودة إلى الجاهلية، إذ أن البداية كانت بالقضاء على الأخلاق والمعاملات في أغلب المجتمعات الإسلامية، وها هي النهاية تقترب بنشر ذلك المعنى الجاهلي للصلاة فالصلاة في أصلها اللغوي هي كلمة غير عربية ومعناها الدعاء، وقد انتقلت إلى العربية تحمل معناها الأصلي أي الدعاء وذلك في عصور الجاهلية، وظل أمرها كذلك حتى تنزل القرآن علي قلب رسول الله ﷺ فأثرى معانيها ولم يقف بها عند معناها الجاهلي أي الدعاء، بل استحدث لها معاني أخرى لم تكن معروفة في الجاهلية مثل ذكر الله[1]

إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي (طه ١٤)

وتلك خاصية من خصائص القرآن الكريم الذي أثرى كثيرا من المعاني في العربية واستحدث كلمات فيها لم تكن معروفة لدى أهلها.

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور ٦٣)

ولقد بين لنا سبحانه وتعالى أن طاعة الرسول هي طاعة لله

مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (النساء ٦٣)

كما بين سبحانه أيضا أن طاعة الرسول ﷺ هي سبيل الاهتداء

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا (النور ٥٤)

وان مخالفته ﷺ هي نذير الفتنة والعذاب الأليم وان الطريق الوحيد للفوز في التأسي بأقوال سيدنا رسول الله ﷺ وأفعاله وأحواله

وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً

ومن يفز فهو إن شاء الله مع الكرام البررة.

---

(١) لقد أجمعت معاجم اللغة وكذلك معجم القرآن الكريم الذي وضعته لجنة من كبار العلماء على أن كلمة صلاة غير عربية الأصل وقد انتقلت إلى العربية من إحدى اللغات السامية تحمل معناها وهو الدعاء وأفعال عبادة .. ولها معان أخرى من مشتقات لفظ صل لاتهمنا في بحثنا هذا المختصر حول الصلاة (إضافة لم تكن موجودة بأصل المقال).

وأخيرا وليس بأخر، فإننا بصدد أخطر قضية في تاريخ الإسلام وهي قضية تبديل دين الله، فإذا تبدلت العبادات فقد تبدل دين الله، وإنا لنعجب كل لعجب ونحتار كل الحيرة أين الأزهر الشريف من هذه القضية؟! وإذا كان الأزهر الشريف لا يحمي عماد الدين من التبديل فمن ذا الذي إذن يحميه؟! ويظل ذلك السؤال الحائر الغاضب الحزين يتردد، ويتردد من يحمي عماد الدين من التبديل؟!

ويبقى أن نشير إلى أننا لم نتناول قضيتنا تلك، قضية الصلاة بمنطق العلم والتكنولوجيا، إنما قد تناولناها بمنطق الإيمان أو إن شئت فقل منطق النور، وهو ما سوف نعرض له قريبا بمشيئة الله تعالى وهو مقارنة بين منطق النور ومنطق العلم، والله المستعان.

فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى اله وصحبه وسلم.

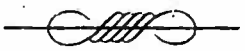

الباب الثاني

فتوى دار الإفتاء

كتبت تلك المقالات السابقة لنشرها بإحدى الصحف إلا إنني سرعان ما تراجعت عن ذلك ومن قبل أن انتهي من كتابتها؛ خشية أن يحدث نشرها على الناس فتنة بين المسلمين في عصر قد تكاثرت فيه الأعداء ضد الإسلام وتكاتفوا بينما قد صار المسلمون كغثاء السيل.. وما ذلك إلا صدق نبوءة رسول الله ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن خلال تحاوري مع الناس في هذه القضية عبر السنين الماضية على اختلاف أعمارهم وثقافتهم ودراستهم الدينية أيضا فقد تبين لي أن المسلمين قد صاروا يحترم بعضهم بعضا في أي حوار.. ويحترمون أي حوار مهما كان نوعه حتى وإن كان حواراً في كرة القدم أو السياسة أو المسلسلات التليفزيونية وغيرها إلا الحوار الديني.. فعندئذ ترى كلاً منهم وكأنه لا مانع لديه من أن يقتل أخاه حتى يثبت انه أكثر إيمانا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وتلك الظاهرة لا تشمل المسلمين في مصر وحدها بل تكاد أن تكون ظاهرة إسلامية عالمية.. واكبر شاهد على ذلك هو ما قام به الإخوة الشجعان البواسل في أفغانستان والذين ظلوا يتقاتلون حوالي عشرة أعوام كانت خلالها كل طائفة تريد أن تثبت أنها أكثر إيمانا بالقضاء على أختها بالقتل والتخريب والتدمير.. وكأنهم قد غاب عنهم قول رسول الله ﷺ " سباب المسلم فسوق وقتله كفر "(للبخاري ومسلم ولأحمد في مسنده والنسائي)وهو يقول ايضا ﷺ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل احدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار " قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: **انه كان حريصا على قتل صاحبه**" (عن أبي موسى في الصحيحين البخاري ومسلم).

ولقد كان لتلك الأسباب السالف ذكرها ما جعلنا نتراجع عن نشر مقالتنا السابقة بإحدى الصحف خشية أن يحدث ذلك فتنة بين المسلمين، فآثرنا أن نرد الأمر إلى أولي الأمر منا مرة أخرى فجعلنا نسخة فقط من تلك المقالات لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر الشريف ونسخة لفضيلة

الدكتور/ أحمد الطيب مفتي الجمهورية وذلك ما سوف يتضح من تسلسل المقال فلا نرى مبرراً في شرع الله يبيح الخروج عن الشريعة حتى وإن كان بهدف الإصلاح. فنظل نتبع شرع الله ونتمسك به حتى إذا عجزنا عن التغيير فلنتذكر قول المصطفى ﷺ " إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله هو الذي يغيره "[1]

وأنا من أنصار الذين يعملون في النور.. ولا نؤمن بأي عمل يتم في الخفاء.. ولا نؤمن أيضا بأي صراعات بين المسلمين إلا الصراعات التي حددها شرع الله وهي صراعات في الحب والتواضع.. في الصدق والأمانة.. في الإخلاص والوفاء.. في النظافة والطهارة والشجاعة والنجدة والشهامة والمروءة.. في قيام ما تيسر من الليل بالنوافل وقراءة القرآن، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، ولمثل ذلك فليعمل العاملون.

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(التوبة١٠٥)

(1) للبيقى فى شعب أيمان وسعيد بن منصور فى سننه ولابن عدى فى الكامل.

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر

السلام عليكم ورحمة الله.... وبعد

ملخص: قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة.

(١) أرسلنا إلى فضيلتكم رسالة مسجلة بتاريخ ٢٠٠١/٨/٢ وهي بخصوص انتشار ظاهرة قراءة القرآن من المصحف أثناء صلاة النوافل بين المسلمين وخاصة في صلاة التراويح في شهر رمضان.

(٢) بعد حوالي شهرين صدرت بجريدة الأهرام فتوى بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة، ولقد أرسلنا إلى جريدة الأهرام باحتجاجنا.

(٣) كما أرسلنا أيضا بصورة من تلك الفتوى إلى فضيلتكم مع رسالة نرجو فيها أن تعلنوا رأي الأزهر الشريف في هذه القضية وذلك بتاريخ ٢٠٠١/١٠/١٣م.

(٤) لما لم نر أي تحرك من الأزهر الشريف قمنا بإعداد هذه المقالات التي هي بين أيديكم لنشرها في إحدى الصحف.

(٥) سرعان ما تراجعنا عن ذلك خشية أن يحدث نشر هذه المقالات فتنة بين المسلمين، وهدانا المولى عز وجل أن نرجع الأمر إلى أولي الأمر منا مرة أخرى، إلى فضيلتكم وفضيلة مفتي الجمهورية والذي كنا قد أرسلنا إلى سابقه (فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل بنص الرسائل التي أرسلناها إلى فضيلتكم من قبل، والله نسأل أن يوفقكم لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن يجنب مصر الفتن وأن يجنب بلاد المسلمين الفتن فهو نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛؛

محمود حسين محمد شفيق

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الدكتور/ احمد الطيب مفتي الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله.... وبعد

ملخص: قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة.

(١) كنا قد أرسلنا إلى فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية (سابقا) برسالة مسجلة بتاريخ ٢٠٠١/٨/٢ بخصوص ظاهرة انتشار قراءة القرآن من المصحف أثناء صلاة النوافل وبخاصة في صلاة التراويح في شهر رمضان.

(٢) بعد حوالي شهرين صدرت بجريدة الأهرام فتوى بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة، ولقد أرسلنا إلى جريدة الأهرام باحتجاجنا.

(٣) كما أرسلنا أيضا بصورة من تلك الفتوى إلى فضيلة المفتي مع رسالة نرجو فيها أن تعلن دار الإفتاء رأيها في هذه القضية وذلك بتاريخ ٢٠٠١/١٠/١٣م.

(٤) لما لم نر أي تحرك من دار الإفتاء في هذه القضية فقد قمنا بإعداد هذه المقالات التى هي بين أيديكم لنشرها في إحدى الصحف

(٥) سرعان ما تراجعنا عن ذلك خشية أن يحدث نشر هذه المقالات فتنة بين المسلمين، وهدانا المولى عز وجل أن نرجع الأمر إلى أولي الأمر منا مرة أخرى، إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وإلى فضيلتكم.

والله نسأل أن يوفقكم لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وان يجنب مصر الفتن وان يجنب بلاد المسلمين الفتن فهو نعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود حسين محمد شفيق

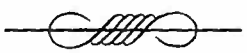

الفصل الأول

فتوى دار الإفتاء والرد العاجل[1]

وزارة العدل
دار الإفتاء المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده "

اطلعنا على الطلب المقدم من المواطن/ محمود حسين محمد شفيق المقيد برقم ١٣٤١ لسنة ٢٠٠١ والمتضمن: السؤال الآتي: ما حكم قراءة القرآن من المصحف للإمام والمأموم في صلاة الفرض والنفل؟

الجـــــواب

اختلف الفقهاء في حكم القراءة من المصحف للإمام والمأموم في صلاة الفرض والنفل على عدة أقوال: ذكرها ابن قدامة في المغني فقال: " قال أحمد: لا بأس أن يصلي - أي الإمام - بالناس القيام وهو ينظر في المصحف، قيل له: في الفريضة، قال: لا. لم اسمع فيه شيئاً، وقال القاضي: يكره في الفرض ولا بأس به في التطوع إذا لم يحفظ، فإن كان حافظاً كره أيضا، قال: وقد سئل أحمد عن الإمامة في المصحف في رمضان فقال: إذا اضطروا إلى ذلك، نقله على بن سعيد وصالح وابن منصور، وحكي عن ابن حامد أن النوافل والفرض في الجواز سواء. وقال أبو حنيفة: تبطل الصلاة به إذا لم يكن حافظاً لأنه عمل طويل. وقد روى أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف بإسناده عن ابن عباس قال: " نهانا أمير المؤمنين أن نؤم الناس في المصاحف وأن يؤمنا إلا محتلم " أخرجه أبو داود. وروي عن ابن المسيب والحسن ومجاهد وإبراهيم وسليمان وبن حنظله والربيع كراهة ذلك، وعن سعيد والحسن/ قالا: تردد ما معك من القرآن ولا تقرأ في المصحف. والدليل على جوازه ما روى أبو بكر الاثرم وابن أبي داود بإسنادهما عن عائشة أنها كانت يؤمها عبد لها في المصحف، وسئل الزهري عن رجل يقرأ في رمضان في المصحف فقال: كان خيارنا يقرأون في المصحف، وروى ذلك عن عطاء ويحيي الأنصاري، وعن الحسن ومحمد في

---

(١) فتوى دار الإفتاء المصرية، انظر ملحق رقم (٢).

التطوع، ولأن ما جاز قراءته ظاهراً جاز نظيرا كالحافظ ولا نسلم أن ذلك يحتاج إلى عمل طويل وإن كان كثيراً فهو متصل. واختصت الكراهة بمن يحفظ لأنه يشتغل بذلك عن الخشوع في الصلاة والنظر موضع السجود لغير حاجة. وكره في الفرض على الإطلاق لأن العادة أنه لا يحتاج ذلك فيها، وأبيحت في غير هذين الموضعين لموضع الحاجة إلى سماع القرآن والقيام به".

وفى واقعة السؤال وبناء على ما سبق: فإنه يجوز الصلاة خلف إمام يقرأ في المصحف في النفل عموماً والتراويح خصوصا لغير الحافظ للقرآن ويكره ذلك في الفرض ولو لم يكن حافظاً أو في النفل إذا كان حافظا لعدم الحاجة إلى ذلك، والحكمة في الكراهة، حتى لا يشتغل الإمام بتقليب أوراق المصحف أو بحمله ووضعه والنظر فيه؛ فينتفي الخشوع المطلوب في الصلاة كما أن ذلك ينطبق على المأموم أيضا للحكمة السابقة.

ومع ذلك فالأولى والأرجح أن يؤم الناس من كان حافظا للقرآن وان ينتبه المأموم لقراءة الإمام ولا يشغل باله بمتابعته من المصحف حتى يتحقق الخشوع المطلوب في الصلاة. وفى جميع الأحوال السابقة فالصلاة صحيحة ولا تبطل بحركة تقليب المصحف وحمله ووضعه سواء كان ذلك من الإمام أو المأموم لأنها حينئذ تكون من أعمال الصلاة وليست خارجة عنها.

ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلى واعلم

أ. د/ نصر فريد واصل

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده "

رداً على الفتوى الصادرة من دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٠٠١/١١/٢٣

في قضية قراءة القرآن أثناء الصلاة.

فضيلة الدكتور/ احمد الطيب مفتي الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله... وبعد ؛؛؛؛

كنا قد أرسلنا إلى فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية (سابقا) برسالتين نلفت فيهما نظر أولي الأمر منا إلى قضية هي اخطر قضايا الإسلام المعاصرة وهي قضية تبديل عماد الدين. وكانت الفتاوى قد صدرت خلال الأعوام السابقة بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء النوافل، ثم انتهت إلى جواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة. وكانت قد صدرت فتوى في جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤ بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة والنافلة، وقمنا بإرسال صورة منها مع رسالتنا فى هذه القضية إلى فضيلة مفتي الجمهورية وذلك بتاريخ ٢٠٠١/١٠/١٣ ولم يصلنا أى رد في هذه القضية ولم نر أي تحرك من دار الإفتاء لمواجهة تلك القضية والتي إن أهملت فسوف ينتهي حفظ القرآن الكريم من صدور المؤمنين عبر السنين وعلى تعاقب الأجيال وبذلك أيضا سوف يتبدل عماد الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وجراء ذلك فقد قمنا بإعداد عدة مقالات لنشرها في إحدى الصحف، ولكن سرعان ما تراجعنا خشية أن يحدث نشر هذه المقالات فتنة بين المسلمين، وهدانا المولى عز وجل أن نرجع الأمر إلى أولي الأمر منا مرة أخرى، إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وإلى فضيلة مفتي الجمهورية، وفى يوم ٢٠٠٢/٧/٨ حضرنا إلى دار الإفتاء لكي نسلم نسخة من مقالاتنا في هذه القضية إلى الدار، ولكننا فوجئنا بأن العاملين بها يرفضون أن يعطونا مستندا مختوما بختم الدار بما يفيد الاستلام. ولقد فوجئنا أيضا بأنه قد صدر عن دار الإفتاء رد بتاريخ ٢٠٠١/١١/٢ على رسالتنا المؤرخة في ٢٠٠١/١٠/١٣ وقد احتفظت به الدار في حفيظتها ولم يرسل إلينا واكتفت بذلك. وقد تسلمنا الرد ووجدنا أن الدار قد اعتبرت أن رسالتنا هي سؤال للفتوى، وذلك مخالف لفحواها. وقد جمعت في هذه الفتوى كثير من أقوال السلف الصالح وأئمة الشرع العظام، وهي أقوال ترضي جميع الأهواء ولا ترتقي إلى الفتوى الشرعية التي تخضع لقواعد الفقه الأساسية وإنها لو خضعت لها لكانت قد اقتصرت على ما جاء بها من أعلى الحجج الفقهية

فى هذه القضية والتي تقول: وقد روى أبو بكر بن داود في كتاب المصاحف بإسناده عن ابن عباس قال: " نهانا أمير المؤمنين أن نؤم الناس في المصاحف وان يؤمنا إلا محتلم " أخرجه أبو داود. فمن ذا الذي يعتقد أن هناك من هو أعلم بدين الله من صحابة رسول الله ﷺ الأجلاء وخاصة منهم الخلفاء الراشدون المهديون رضوان الله عليهم أجمعين. وإذا كان هناك بعض الأقوال منسوبة إلى بعض أئمة الشرع العظماء تخالف نهي أمير المؤمنين فإن هذا لا يضيرهم في شئ ولا يحط من قدرهم فقد برأ أئمة المذاهب الأربعة أنفسهم من أي خطأ أو زلة قد يقعون فيها بقول مشهور كان كل منهم يردده بأسلوبه الخاص وهو في معناه: هذا منتهى علمي واجتهادي بسنة رسول الله ﷺ فإذا وجدت فيه ما يوافق السنة المطهرة فخذ به، أما إذا وجدت فيه ما يخالف سنة رسول الله ﷺ فاضرب بكلامي عرض الحائط ولا تأخذ به فصاحب السنة أحق أن يتبع.

ومما يدعو للتأمل حقا أن أمير المؤمنين الفاروق عمر ﷺ هو صاحب الفضل الأول في جمع القرآن الكريم في المصحف، وهو أيضا أول من نهى عن الصلاة في المصاحف، ومما نستنتجه من ذلك أن الغاية من جمع القرآن في المصحف ليست للصلاة فيه، فهكذا قد نهى صاحب الفضل في الجمع عن الصلاة فيه. وطاعة أمير المؤمنين هي طاعة رسول الله ﷺ وطاعة رسول الله ﷺ هي طاعة الله. فطاعة يا سيدي، ثم طاعة يا أمير المؤمنين، ثم طاعة يا من حكمت فعدلت فأمنت فنمت فسلمت يا عمر

هذا.. وبعد وبالله التوفيق.. فقد كانت بداية قولنا في هذه القضية ذلك القول الغاضب الحائر الحزين " هل سنة رسول الله ﷺ في الصلاة هي أن يمسك المصحف وهو يصلي ويقرأ منه أو يضعه المصلي على حامل أمامه ويقرأ منه، أو يضع المصلي سماعات على أذنيه ويردد القرآن وراء المسجل، أو أن سنة رسول الله ﷺ في الصلاة هي أن يفعلها كل على هواه وعلى حسب ما يتراءى له؟!! فيصير ما قدمنا كله صحيحا وجائزا وما يجد من موضات في الصلاة فهو صحيح أيضا وجائز. إذن فهي سنة بلا سنة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويبقى ذلك السؤال الحائر الغاضب الحزين يتردد ويتردد: من يحمي عماد الدين من التبديل ؟! وصلى الله وسلم على صاحب السنة المطهرة والتي من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل أبدا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمود حسين محمد شفيق

٢٠٠٢/٧/٢٦

الفصل الثاني

فتوى دار الإفتاء والرد الفصل

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده "

أما بعد فقد اقتصرنا في ردنا على الفتوى الصادرة من دار الإفتاء في قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة والذي ذكرناه في مقالنا السابق على أعلى الحجج التي قد جاءت بها وهو ذلك القول المرفوع إلى حبر الأمة سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ وهو الذي يقول " نهانا أمير المؤمنين أن نؤم الناس في المصاحف وان يؤمنا إلا محتلم ".

وذلك لسببين:

أولاً: أن اغلب ما جاء في قالب الفتوى أو هيكلها والذي هو أيضا فحوى الفتوى الصادرة بجريدة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤ والذي هو أيضا فحوى كل فتوى قد صدرت بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة.. وكنا قد سبق أن رددنا على فحوى ذلك القالب الفتوى في مقالاتنا السابقة.. وقد قلنا أيضًا عن ذلك القالب أو الهيكل الفتوى أنه أيضا لا يستطيع واحد من السادة العلماء الأفاضل الذين أفتوا بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة أن يدعي انه أول من أفتى بالجواز في هذه القضية نتيجة بحثه في السنة المطهرة أو أن هناك لجنة من العلماء قد اجتمعت وأصدرت ذلك القالب وقد صار على نهجها.

ثانياً: أما السبب الثاني انه كان قد اقترب شهر رمضان الكريم وكنا نتمنى على الله أن نجد استجابة من أولي الأمر منا للتعامل مع هذه القضية ومواجهتها بما تستحق من العناية والاهتمام وتصحيح المفاهيم عن الصلاة لدى الناس والتي تحولت إلى مجرد أداء مادي في عصر قد طغت فيه المادة ومفاهيمها المادية على كل شئ وشملته حتى أنها قد شملت العبادات أيضا.. فها هي الصلاة وهي أعلى العبادات في الإسلام وأهمها على الإطلاق قد

أخذت صورة مادية تمشياً مع روح العصر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما وقد انتهى شهر رمضان المبارك.. ولم يحرك أولو الأمر ساكناً.. وظل الأمر على ما هو عليه.. فلا نجد مناصاً من العودة إلى تلك الفتوى والرد عليها بالتفصيل وتحطيم ذلك الهيكل الفتوي المجهول الهوية حتى لا يبقى منه شئ يبنى عليه دين وضعي يناسب عصر المادية.. وذلك أيضا حتى تتسنى العودة بعماد الدين إلى نقائه وسموه الروحي كما سنه وبينه صاحب السنة المطهرة ﷺ، والله المستعان. ولا يفوتنا ذي بدء أن نخص بالتحية والتقدير فضيلة الدكتور/ نصر فريد واصل مفتي الجمهورية السابق، ذلك العالم الفذ المخلص لدين الله والذي اكتفى بالتلميح دون التصريح في فتواه.. فاكتفى بأن أبرز أعلى الحجج في هذه القضية وهي تلك التي قد ذكرناها من قبل وهي نهي أمير المؤمنين عن الصلاة في المصاحف وما نراه إلا تصرفاً ذكياً نظراً لحساسية القضية وحجمها وخطورتها ومع ذلك فلم يخرج عن القالب المألوف لتلك الفتوى إلا أنه قد آثر أن يستهله بتريث وحكمة بالغة فأبرز نهي الفاروق عمر ﷺ عن الصلاة في المصاحف كما لم يفته أيضا أن يذكر قبل نهاية القالب الفتوي الذي صار متعارفا عليه بين العلماء – لأسباب مجهولة – أن يبرز تلك العبارة التي جاءت بنصها في نهاية فتواه.

ومع ذلك فالأولى والأرجح أن يؤم الناس من كان حافظاً للقرآن وأن ينتبه المأموم لقراءة الإمام ولا يشغل باله بمتابعته في المصحف حتى يتحقق الخشوع المطلوب في الصلاة.

وصراحة فقد اعتبرنا ذلك بمثابة إشارة خضراء من فضيلة العالم الجليل واصل.. وصله الله ووصلنا به.. وذلك بمثابة هدى لنا للاستمرار في المسير.. فبنينا ردنا على ذلك القالب الفتوي المشهور كما هو آت:

أولا: مما يستدل عليه من عبارة: والأولى والأرجح عدم النظر في المصحف أثناء الصلاة، أن الصلاة في المصاحف مشكوك في أمرها.. ولك أن تختار بين صلاة مشكوك في أمرها وصلاة مؤكدة صحيحة كما بينها صاحب السنة المطهرة ﷺ.

ثانياً: أما عن قصة ذكوان مولى السيدة عائشة ﷺ وصلاته في المصحف والتي يحتج بها الكثيرون في هذه القضية وهي أعلى الحجج لديهم.. فقد جاء في موطأ مالك ما نصه:

وحدثني عن مالك، عن هشام بن عروة عن أبيه ذكوان أبي عمرو (وكان عبداً لعائشة زوج النبي ﷺ فأعتقته عن دبر منها) كان يقوم يقرأ لها في رمضان.

وكما هو واضح من رواية مالك رحمه الله:

(١) لم يأت في رواية مالك كلمة المصحف.. فربما كان ذكوان يقوم يقرأ القرآن من حفيظته للسيدة عائشة ﷺ.

(٢) لقد ذكر مالك أن ذكوان كان يقوم يقرأ لها.. أي يقرأ لها القرآن وهي سنة السلف الصالح للقيام بالقرآن بعد الصلاة وخاصة بعد صلاة العتمة وصلاة التراويح والتي استمر عليها التابعون ومازلنا نتبعها.

فمن أين إذاً جاءوا بذلك التفسير الذي يعلنونه في كل فتوى وهو أن ذكوان كان يؤمها في المصحف.. فهناك فرق بين يقوم لها ويقوم بها والله اعلم، ومع ذلك فسوف نفترض صحة تفسيرهم وما يقولون عن تلك الرواية.. ونترك فتواهم ترد على نفسها وتنطق بالحق، فلقد انطلقت من بصيرة العالم الجليل الدكتور/ واصل أعلى الحجج في هذه القضية وهي وحدها تكفي لدحض كل ما يخالفها من حجج فلم يكن ذكوان مولى السيدة عائشة ﷺ إلا أحد رعية أمير المؤمنين ﷺ والذي نهاه فيمن نهى من رعيته عن الصلاة في المصاحف.. وبذلك النهي فقد برأ الفاروق عمر ﷺ نفسه أمام الله ورسوله والمؤمنين من أن يستغل الناس جمع القرآن في المصحف للصلاة فيه.. فعمر ﷺ هو صاحب الفضل الأول في جمع القرآن الكريم في المصحف، ولم يكن لذكوان الأمر والنهي والطاعة، وإنما كان الأمر والنهي والطاعة لأمير المؤمنين ﷺ، وكلنا يعلم من هو الفاروق عمر ﷺ ومكانته في الإسلام وعلمه أيضا ويكفي أن نذكر بما قاله عنه صحابة رسول الله ﷺ بعد استشهاده: لقد مات تسعة أعشار العلم بموت عمر وغاية ما يقال عنه في هذه القضية أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم أجمعين والذين لهم على المسلمين حق الطاعة والتي هي من طاعة رسول الله ﷺ، فكما جاء في رواية نجيح بن العرياض بن سارية ﷺ قال:وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصانا قال: " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي وإن من يعش منكم فسوف يرى اختلافا كبيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[1]. إذاً فقد أوصى رسول الله ﷺ بطاعة عمر ﷺ إذ هو أحد الخلفاء الراشدين المهديين رضوان الله عليهم ولم يوص بطاعة ذكوان، ولم يثبت أن أحدا الخلفاء الراشدين المهديين قد أجاز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة وطاعة رسول الله هي طاعة الله،

مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (النساء ٦٣)

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (آل عمران ١٣٢)

ويقول الصادق المصدوق ﷺ مبينا ومشدداً على أمانة الصلاة " اتقوا الله في الصلاة، اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله فيما ملكت إيمانكم، اتقوا الله في الضعيفين المرأة الأرملة والصبي اليتيم [2]، ومن ذلك الحديث الشريف يتبين أن رسول الله ﷺ قد حث على تقوى الله في أربعة تجمعهم جميعاً صفة واحدة وهي صفة الأمانة التي خلفها راعيها أو ولي أمرها وقد أناب عنه من حملها والذي هو عليه تقوى الله فيها.. فالصلاة أمانة رسول الله ﷺ وهو ولي أمرها الوحيد تركها لامته يحافظون عليها بلا تبديل ولا تصرف وتبقى كما هي، كما تركها رسول الله ﷺ وقضي الأمر والحمد لله رب العالمين.

ثالثاً: ثم نعود إلى قول كنا قد رددنا عليه في مقالاتنا السابقة فنزيد ردنا تفصيلا وتوضيحا وهو ذلك القول المشهور الذي نجده في قالب كل فتوى والذي قرأناه في فتوى دار الإفتاء وكذلك أيضا في الفتوى الصادرة بجريدة الأهرام وغيرها وهو الذي يقول " ولقد أجمع جمهور العلماء على أنه لم يأت ما يستدل به على المنع " يقصد منع جواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة "

وإنا نقول صراحة أن دليل المنع قد أتي – وإن كان قد أغمض على البعض وهو شديد وحاسم ومختصر شأنه كأي دليل للمنع وخاصة في الأمور البالغة الأهمية والشديدة الخطورة فلابد أن يكون الأمر فيها واضحا ومختصرا بحيث يفهمه العالم وكذلك العوام من الناس فهماً واحداً، إلا من أراد أن يتحايل أو يبدل، فعلى سبيل المثال إذا أرادت إدارة المرور أن تمنع المرور في شارع ما فإنها لا

---

[1] رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

[2] رواه البخاري مسلم والبيهقى فى شعب الإيمان

تضع لافتة كبيرة تحتوي على كثير من الإرشادات والنصائح وتوضح فيها أسباب المنع.. بل تضع علامة " ممنوع المرور " وتكتفي بذلك. وكذلك أيضا إذا أراد القائمون على الأمن في أي مكان في العالم أن يمنعوا الناس من الاقتراب من حقل الغام فإنهم يقومون بوضع لافتة تحذير من خطر الموت ومنع الاقتراب وذلك في مكان عال حتى يراها القادم من بعيد ويكتفون بذلك، كذلك جاء أمر رسول الله ﷺ بالمنع واضحاً ومختصراً وصريحاً قائلاً: "صلوا كما رأيتموني أصلي " وهو يحمل في طياته كل ما يخالف صلاته ﷺ من قول أو فعل أو حال، ولو كان ﷺ قد عدد الممنوع في الصلاة، وعدد ألف ممنوع لخرج واحد بشئ بعد الممنوع الألف ليقول هذا لم يمنعه رسول الله في الصلاة، لذلك كان الحسم والوضوح والاختصار في أمر رسول الله ﷺ، فلم يكن قوله صلوات الله وسلامه عليه كقول البشر... إنما هو قول من أرسله رب العالمين لكي يعلم الناس الكتاب والحكمة ويزكيهم، ولقد بين معالم قوله صلوات الله وسلامه عليه في حديثه "هذا: أعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه(١) فكان أمره صلوات الله وسلامه عليه في الصلاة واضحاً وحاسماً وصريحاً، فأغلق عليها الباب تماماً بأن جعل مثيلتها لصلاته حتى لا تتبدل أو تتسلل إليها البدع.

وأما دعاة العلم فإنا نخصهم بالرد بأسلوب آخر فنقول: إن المثلية العلمية والمثلية الإيمانية في أمر رسول الله ﷺ " صلوا كما رأيتموني اصلي " تعني التطابق التام في الشكل والمضمون لصلاة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، أما المثلية العلمية فهي تعني التطابق التام في الشكل والخصائص الداخلية.

وتلك الصلاة - أي الصلاة في المصاحف - لا تتطابق لا في الشكل ولا في خصائصها مع صلاة الرسول إذ أن شكل صلاته ﷺ لم يكن فيها مصحف مادي على الإطلاق.. إنما كان القرآن ساكناً في القلب الذي يأمر اللسان فيتحرك بكلام الله.. وأما خصائص الصلاة فهي :الخشوع بدلائله، والنظر في المصحف أثناء الصلاة يفقد الخشوع كما هو معترف به في كل الفتاوى التي قد صدرت بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة.

واما المثلية الإيمانية فهي تعني التأسي بحضرته صلوات الله وسلامه عليه في الأقوال والأفعال والأحوال وما أقره وتلك الصلاة في المصاحف وان تطابقت مع

(1) الجامع الصغير للإمام السيوطي.

صلاته ﷺ في الأقوال فهي تخالفه في الأفعال والأحوال.. " إذ أنه كان من أفعاله ﷺ أنه إذا استقبل القبلة ورفع يديه بتكبيرة الإحرام كان يطأطئ برأسه ويرمي ببصره إلى موضع سجوده (١) وتلك الأفعال هي دلائل الخشوع التي تقود إلى أحواله كما بينا من قبل في مقالنا الثاني وذلك ما نفقهه من أمر رسول الله ﷺ الصادر إلينا " صلوا كما رأيتموني أصلي " وهو أمر واضح وصريح وبسيط ولا يحتمل الخلاف.. فالإيمان ذوق.. والذوق فعل وحس وممارسة إذ يقول ﷺ " ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ". (٢)

رابعاً: أما عن عبارة جمهور العلماء التي جاء ذكرها في القالب الفتوى.. أي أنها قد جاءت في كل فتوى قد صدرت بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة.. فلا نعرف لها معنى.. وإنا نتساءل: ما هو المقصود بها؟ فإذا كان المقصود بها هم الأئمة التابعون والذين قد جاء ذكرهم في فتوى دار الإفتاء وغيرها أمثال الزهري ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم.. فإن كان ذلك هو المقصود بعبارة جمهور العلماء فإن ما ذكر عنهم في هذه القضية إن هو إلا آراء محضة لا سند لها من السنة المطهرة وكم سمعنا من آراء وأراء من علمائنا المعاصرين وغيرهم في هذه القضية فالكل يقول رأيه وكأن الأمر يتعلق بكرة القدم أو السياسة أو المسلسلات التليفزيونية وغيرها. ولسنا ملزمين برأي احد في الصلاة، فالأمر في الصلاة وفى العبادات بصفة عامة هو لرسول الله وحده صلوات الله وسلامه عليه. فالأمر جد خطير ولا يحتمل المجاملة. فالقضية هي قضية تبديل دين الله، فتحت شعار جمهور العلماء قد وضعت مفاهيم جديدة تخالف السنة المطهرة فقد قرأنا بأحد الكتب التخريبية التي يعمل بها الأئمة والوعاظ في المساجد ما يلي :

"ولقد أجمع جمهور العلماء على أن الإمام غير الحافظ يجوز له أن يعلق لوحاً أمامه ملصقاً عليه الآيات التي يريد قراءتها في الصلاة أو يضع المصحف أمامه ويقرأ منه أو يمسك بمصحف صغير في يده ويقرأ منه ثم يضعه في جيبه ثم يعود فيستخرجه ويقرأ منه، ولم يخرج فحوى ما جاء بذلك الكتاب عن المفهوم التخريبي المستحدث للإمام عن مفهوم الإمام في تلك الفتاوى التي قد صدرت في هذه القضية. فقد صار الإمام غير حافظ في الصلاة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل. فقد عرف رسول الله ﷺ الإمام بأنه أكثر الجماعة حفظاً للقرآن، ولم

---

(1) رواه الحاكم والبيقهى.

(2) الجامع الصغير

نسمع عن الإمام غير الحافظ إلا في عصر فندقة الدين وظهور الصلاة الفندقية إذ يقول ﷺ " فليؤمهم اقرأهم للقرآن " والمقصود باقرأهم أي أحفظهم للقرآن، فلم يكن في عصره ﷺ مصاحف يقرأ منها في الصلاة فقد كانت صدور المسلمين هي المصاحف التي يقرءون منها في صلاتهم. فهكذا أراد الله عز وجل أن تكون وسيلة حفظ كتابه الكريم تختلف عن كل الوسائل التي عرفتها البشرية واتبعتها في حفظ كتبها فجعل حفيظته الأساسية والرئيسية هي صدور عباده منذ أن نزل القرآن على قلب المصطفى ﷺ والذي كان يقوم بنقله إلى قلوب صحابته الأجلاء رضوان الله عليهم أجمعين. فلا وجود في السنة المطهرة لإمام غير حافظ ولا صلاة في المصاحف إذ يقول الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه: " اجعلوا أئمتكم خياركم، فإنهم وفدكم بينكم وبين ربكم "[1] ونسأل رسول الله ﷺ من خيارنا يا رسول الله فيجيب قائلا: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "[2] هذا ويقول أيضا ﷺ "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"[3] ولا فقيه في الدين غير حافظ للقرآن، ولا خير في من يؤم الناس في الصلاة وهو غير حافظ للقرآن ولا يكون وافدا بين المسلمين وربهم فنعوذ بالله من تلك البدعة الشيطانية التي تزينت في صورة التقوى والورع وفى باطنها هدم لدين الله.. وما هي إلا محاولة مستترة للقضاء على حفظ كتاب الله في صدور المسلمين.. وما هي إلا محاولة يائسة. وما نقدمه ليس برأي.. فلا رأي لنا في دين الله.. إنما هو استنباط من القرآن والسنة المطهرة فالرأي هو الميل أو الهوى ويقول عز من قائل (أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً)(سورة الجاثية آية ٢٣)

ويقول المصطفى ﷺ مصدقاً ومبيناً " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به "[4]. فلا رأي في دين الله، أنما هو توحيد وأتباع رسول الله ﷺ، وفى إتباعه توحيد التوحيد.. لا اله إلا الله محمد رسول الله.

خامسا: وفى نهاية كل فتوى نقرأ دوماً هذه العبارة التي تقول: وفى جميع الأحوال السابقة فالصلاة صحيحة ولا تبطل بحركة تقليب المصحف وحمله سواء كان ذلك من الإمام أم المأموم لأنه بذلك تكون من أعمال الصلاة وليست خارجة عنها.. وكأن المولى عز وجل قد أراد للباطل أن ينطق ببطلانه.. فهكذا قد خرجت هذه الكلمة وأعلنت لكي تطرح من نفسها سؤالا تفرضه عليها وكأنها

---

(1) رواه الدارقطنى والبيهقى وسعيد بن منصور فى سننه.

(2) الجامع الصغير للإمام السيوطى.

(3) للبخارى ومسلم وأحمد فى قنده.

(4) من كتاب شرح الأحاديث النووية عن ابن عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حديث حسن صحيح.

تحمل في طياتها هذا السؤال: فهل انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى دون أن يبين أعمال الصلاة ويحددها ويحكمها؟! لا شك أن الإجابة على ذلك السؤال هي حتما بالنفي المبين، فلماذا إذاً قد خرجوا علينا بأعمال وأعمال في الصلاة، كل بما يوافق هواه وكما يتراءى له وكأنهم لا يعلمون. فنعوذ بالله من علم لا ينفع، وذلك القول: أي أعمال الصلاة.. إن دل على شئ فهو يدل على مفهوم الصلاة لدى قائليه والآخذين به بأن الصلاة هي مجرد أعمال وحركات مادية، من قيام وركوع وسجود وقراءة للقرآن – لا تهم الوسيلة – وذلك ما حدا بقائليه والآخذين به من إدخال التكنولوجيا الحديثة على الصلاة كما جاء في تذييل أول مصحف للتهجد والذي نشرته " دار الصفوة " ولم تكن الفتاوى قد صدرت بعد. وذلك كما بينا من قبل في مقالنا الثالث، ألا تستحق تلك الكلمة وحدها . أي أعمال الصلاة.. إلى وقفة صريحة مع النفس وإلى مراجعة إيمانية طاهرة لسنة رسول الله ﷺ ولنتق الله جميعا في السنة المطهرة والتي لا يقام الإسلام إلا بها ولنتق الله في دين الله، أليس أمر عماد الدين بأمر يستحق أن يجتمع له مؤتمر علماء المسلمين.. فالأمر جد خطير.. ولا نغالي إن قلنا أننا في عصر قد تأرجح فيه عماد الدين وتمايل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

سادساً: ثم من قال إنه لابد من ختم القرآن في صلاة التراويح.. فليس ذلك بفريضة ولا هو أيضا بسنة، إنما الفريضة والسنة هي في إتباع رسول الله ﷺ فليصل إذن كل بما يحفظ من القرآن عملا بالسنة المطهرة، وإذا كان التقليد والتمثيل يصلحان في أعمال الدنيا إلا أنهما لا يصلحان على الإطلاق في أعمال الآخرة. فصلاة القيام وصلاة التهجد ليست مقصورة على شهر رمضان وحده، إنما هي صلاة يقوم بها أهل التقوى والورع طوال العام.. يقومون بها في جوف الليل.. لا يراهم احد ولا يراءون أحدا بصلاتهم.. ولا يحبون أن يطلع عليهم أحد غير الله عز وجل، ويختم فيها القرآن عن ظهر قلب من كان يحفظه منهم سواء كان ذلك في صلاة القيام أم في التهجد، وهم يفضلون أن يقوموا بها في حجرة مظلمة تأسيا برسول الله ﷺ وبالسلف الصالح، وهي أعلى سنن رسول الله ﷺ والتي نص عليها القرآن.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً (الإسراء ٧٦)

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (المزمل ١ ـ ٣)

والفرق بين صلاة القيام وصلاة التهجد هو أن صلاة القيام تكون بعد العشاء وقبل النوم أما إذا نام العبد ثم قام في جوف الليل فصلى فهي صلاة التهجد.

سابعاً: وبعيداً عن الفقه والفقهاء والعلم والعلماء فلننظر كيف يرى أهل الفطرة في هذه القضية، وكأني بهم إذ يقولون: مثل الذي يصلي وهو يقرأ القرآن من حفيظته والذي يصلي وهو ينظر إلى المصحف كمثل طالبين دخلا الامتحان سوياً فأخذ أحدهم يكد ويجتهد ويكتب من حفيظته بينما أخذ الأخر يخرج مكتوباً أو كتاباً وينظر فيه ويغش منه، ثم ظهرت نتيجة الامتحان وقد نجح الغشاش والأمين معاً وقد تفوق الغشاش على الأمين وهو يستطيع أن يحقق من النجاحات في دنيا الغش والكذب والرياء ما يستعصي على الأمين تحقيقه، ولكن هل يستوي الأمين والغشاش أمام الله؟، فالحمد لله لا يستويان مثلاً

أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (الزمر (٩

فصراحة لا نرى في فتاوى جواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة إلا أنها فتاوى لا علاقة لها بسنة رسول الله ﷺ وهي سهم حرب خفية على حفظ كتاب الله في صدور المسلمين وهو أشد مراكز القوة في الإسلام، وما أريد بتلك الفتوى المجهولة النسب والهوية إلا تخريب دين الله، ولقد أحجمت كثيراً عن ذكر الأسباب التي شدت انتباهي لهذه القضية ودفعتني للبحث فيها وهما حادثان أو موقفان قد عشت أحدهما منذ حوالي ستة عشر عاماً.. وهما يشيران إلى رؤية منطقية وواقعية إلى ما يمكن أن ينتهي إليه حال الصلاة المريضة في عصرنا إذا استمر التغاضي عن هذه القضية والتعتيم عليها وعدم إعطائها حقها من الاهتمام والمعالجة والمواجهة، وهذا ما سوف نعرض له في مقالنا القادم بمشيئة الله والله المستعان، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على صاحب السنة المطهرة والتي من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل ابداً.

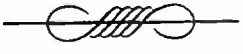

الفصل الثالث

حول واقع الصلاة وخلاصة القول

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده "

لم يعد لدي من دفاع عن الحق في قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة سوى عرض هذين الموقفين واللذين كانا سببا لاهتمامي بهذه القضية.. وهما يشهدان شهادة واقعية عن رؤية الصلاة ومفهومها الشائع بين المسلمين، والتصرف فيها كل بما يوافق هواه، وكما يتراءى له، وكما أنهما يعطيان تصوراً منطقياً أيضا إلى ما يمكن أن تنتهي إليه الصلاة إذا لم تعط هذه القضية حقها من الاهتمام والمعالجة.

أما الموقف الأول: فقد وقع تقريبا في شهر رمضان من عام ١٤٠٨هـ اي منذ حوالي ستة عشر عاما، إذ كانت تلك الليلة التي خرجت فيها من بيتي بعد صلاة العشاء لعيادة أحد المرضى المسنين، وإن لم يكن قد تجاوز الستين من العمر بقليل، ولما عدته وجلست إليه واطمأننت على صحته وكان قد تماثل للشفاء بعض الشئ بادرني بالسؤال إن كنت قد صليت التراويح لليلتي، فأجبته بالنفي، حيث إنني كنت قد اعتدت أن أصلي التراويح في بيتي في النصف الأخير من الليل، فلما أجبته بالنفي عرض على أن أؤدي صلاة التراويح خلفه، فرحبت بذلك من فوري وبلا أدنى تردد، وعندئذ نهض واقفا وقد نهضت وراءه وتناولت سجادة الصلاة وقمت بفرشها في اتجاه القبلة، ولكنني وجدته بدلا من أن يستقبل القبلة وقف يلتفت حوله، ثم انحنى وتناول سجادة الصلاة فعدل من وضعها، ثم جذب منضدة صغيرة ووضعها عن يمينه، ثم استقبل القبلة وقد واستقبلتها خلفه، ولكنه بدلا من أن يرفع يديه بتكبيرة الإحرام ، دس يده في جلبابه وأخرج منه كتيبا صغيرا على غلافه صورة لأحد الأشخاص في هيئة المشايخ وزيهم – والله اعلم بحاله – ثم وضع الكتيب على المنضدة، ثم دس يده الشمال في جلبابه أيضا وأخرج نظارته ووضعها على عينيه، ثم تناول الكتيب وأخذ يقلب فيه وينظر إليه ويقربه تارة من عينيه ويبعده أخرى ثم التفت إلي قائلا: النور ضعيف، وقبل أن اسأله عن حاجته إلى النور كان قد تحرك نحو أزرة الإضاءة فضغط على أحد أزرة فزاد من شدة الإضاءة، ويبدو أنه لاحظ

دهشتي فبادرني مخبرا أنها مجموعة من سور القرآن الكريم قد أوصى الشيخ (فلان) بقراءتها في صلاة التراويح حتى تحل البركة ويشفى من كان مريض بالبيت، وكان يشير إلى صاحب الصورة على غلاف ذلك الكتيب الذي كان ممسكاً به بيده اليمنى وهو يحدثني. ولما سألته: هل يجوز النظر في كتاب أثناء الصلاة؟! أجابني بأن العلماء قد أجازوا ذلك. ولم يكن لدي من علم وقتها بتلك القضية حتى أعترض وأقدم حجتي.. كما أن الرجل كان في سن والدي رحمه الله.. فاستسلمت قالباً.. وإن كان القلب غير راض. وعندئذ وضع الرجل الكتيب والنظارة على المنضدة عن يمينه واستقبل القبلة ورفع يديه بتكبيرة الإحرام وكذلك فعلت خلفه، فبدأ صلاته بأن قرأ فاتحة الكتاب - وكان يحفظها عن ظهر قلب - والتي ما ان منها حتى التفت عن يمينه فمد يده وتناول نظارته من على المنضدة ثم وضعها على عينيه وقام بضبطها وإحكامها... ثم تناول الكتيب وأخذ يقرأ فيه سورة من سور القرآن الكريم.. وبعد أن انتهى منها التفت عن يمينه فوضع الكتيب على المنضدة ثم خلع نظارته وقام بوضعها أيضا بجوار الكتيب ثم كبر وركع.. وكذلك فعلت خلفه، وإن كنت لم أشعر بما قد تعودت عليه بأن اشعر به من خشوع أثناء الصلاة، فقد استولت علي حالة من الذهول، فقد كنت أؤدي حركات الصلاة خلفه وكأنني قد تحولت إلى إنسان آلي. ولم أخرج من ذهولي ذلك إلا في أثناء الركعة الثانية وذلك حينما خرج عن حركات الصلاة المعتادة بفعل غريب عنها كان قد اضطر إليه، وذلك حينما تناول نظارته وأراد أن يضعها على عينيه فسقطت منه على الأرض فانحنى والتقطها ووضعها على عينيه وضبطها وأحكمها تماما ثم مد يده وأخذ الكتيب من على المنضدة ووقف حتى استرد أنفاسه ثم تنهد وأخذ يقرأ القرآن من الكتيب في يده. ولما انتهى من الركعتين وسلم التسليمتين، وقمنا لأداء ركعتين ثانية كنت قد خرجت من حالة الذهول تلك التي كانت قد استولت علي واستبدلت بحالة أخرى. فقد شدتني مراقبة أفعاله أثناء الصلاة. وبالفعل فقد حدث هذه المرة ليس ما يشد انتباه الذي استولى عليه الذهول فحسب، بل ما يوقظ الموتى. فحينما انتهى من قراءة فاتحة الكتاب وأراد أن يتناول نظارته نسي وتناول الكتيب.. وبين إعادة الكتيب وتناول النظارة سقط منه الكتيب على الأرض، فاضطر أن ينحني ويستند على المنضدة لكي يلتقط الكتيب، وقد أشفقت على حالته تلك حتى كدت أن أهم بأن أتقدم فأناوله الكتيب ثم أعود أدراجي خلف الإمام. فقد كان يقوم بأفعاله تلك ببطء شديد وكأنه في خشوع، وكأن ما يقوم به هو من أعمال الصلاة. وعندئذ لا أخفي – سامحني الله – أنه استولت علي رغبة شديدة في الضحك

فعقدت العزم على أن انتظر حتى يفرغ من الركعتين ويسلم التسليمتين وأفعل وراءه، ولا أصلي بعدها خلفه.. وحينما أعود إلى بيتي أعيد صلاة التراويح كاملة. وبالفعل فما أن فرغ من الركعتين وسلم التسليمتين حتى استأذنت منه محتجاً بما ليس فيه كذب وأنه يجوز تجزئة صلاة التراويح على فترات من الليل أيضا. وقد فعلت وانصرفت من عيادة صديقي المريض العجوز وقد استولت علي حالة من الذهول والضحك معاً لما رأيته وعشته مع ذلك الرجل في صلاته. ولكن تلك الحالة ما كانت تلبث حتى تتبدل بحالة من الشفقة على ذلك الرجل المريض والذي ظننت في بادئ الأمر أن المرض قد أثر على عقله فجعلت استرحم الله في نفسي وأدعو له ولأمثاله من مرضى المسلمين بالشفاء.

ودعت ذلك الرجل المريض العجوز ثم عدت إلى بيتي. وما إن دخلت البيت حتى ازددت غماً بغم.. وكأنها كانت ليلة الغم.. فما أن دخلت بيتي حتى أبصرت زوجتي تبكي وهي تشاهد صلاة التراويح أو التهجد – لا أتذكر بالضبط – وذلك عبر شاشة التليفزيون والتي اعتاد أن ينقلها كل عام من المسجد الحرام. ولم يكن ذلك سبب غمي.. فقد اعتدت على ذلك منها في السنوات السابقة.. وليس في ذلك ما يغم.. فهو حال المؤمنين أمام تلك المشاهد الإيمانية لتجمع المسلمين.. وخاصة حينما يراهم مجتمعين على الإيمان والعبادة في المسجد الحرام فيأخذه الشوق والحنين للرحاب الطاهرة ويهزه ذلك المشهد الإيماني العظيم فيضيق الصدر بالبكاء وتنهمر الدموع.

أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ (النجم ٥٩، ٦٠)

إنما كان سبب ازدياد الغم أنني كنت قد شاهدت إمام المسجد الحرام يضع أمامه مصحفاً كبيراً يقرأ فيه أثناء الصلاة بينما وقف بعض المصلين خلفه وقد أمسك البعض منهم بمصاحف صغيرة في أيديهم ينظرون فيها ويتابعون الإمام. ولم أطق ذلك المشهد فقد انتابتني حالة من الذهول والغثيان والانقباض الشديد.. لم أشعر بها من قبل.. ولا أظن إني أنساها ما حييت أو أنسى تلك الليلة.. فأعطيت للتليفزيون ظهري. ولا أتذكر حقيقة إن كنت قد أديت صلاة التراويح لليلتي تلك أم لا.. فلا أتذكر عن تلك الليلة الظلماء شيئا أكثر مما قدمت.

ومرت السنوات.. وقد شغلتني الحياة الدنيا.. ولم أعط لذلك الأمر اهتماماً. فما هو إلا فعل قد فعله بعض المسلمين وليس بفريضة على كل مسلم أن يتبعه حتى وإن كان قد اتبع في المسجد الحرام.. كما إنني لم أعترض على فعله إذ لم يكن لدي من العلم ما يجعلني أعترض عليه. وقد كدت أن أنساه لولا ذلك الموقف الذي عشته

بعد ذلك بعدة أعوام مما جعل ذلك الموقف الأول والذي عشته في شهر رمضان والذي تقدم يحضر إلى الذاكرة مرة أخرى ويتحرك فيها ويحرك الإرادة على البحث والتدقيق في هذه القضية. فبينما كنت في زيارة لأحد أصدقائي الأطباء وهو يحمل درجة الدكتوراه في أحد فروع الطب.. وكان ذلك بعد صلاة العصر بقليل.. وهو الوقت الذي كنت قد أعتدت أن أزوره فيه كلما أردت ذلك إذ أنه يكون في راحة من عمله. وبعد أن جلست إليه قليلا في الحجرة المخصصة للكشف على المرضى حيث استأذن لأداء فريضة العصر.. فقام وفرش سجادة الصلاة بجوار السرير المخصص للكشف على المرضى وجعله عن يمينه.. ثم تناول مصحفاً متوسط الحجم وفتحه ووضعه على السرير.. وكنت قد دهشت لذلك الفعل في بادئ الأمر.. ولكن سرعان ما تبددت دهشتي وتحولت إلى حالة من الذهول وقد استولت علي. فما أن فرغ صديقي من قراءة فاتحة الكتاب في الركعة الأولى – وكان يحفظها عن ظهر قلب – حتى التفت عن يمينه وجعل رأسه موازية لكتفه الأيمن تقريباً واخذ ينظر ويقرا من المصحف الذي وضعه على السرير قبل الصلاة.. وكرر ذلك الفعل في الركعة الثانية. وحينما انتهى من صلاته قام وتحول إلى المصحف فقلب ورقة منه ووضع الدليل عليها وهي قطعة من القماش الأحمر الرقيق. ثم أغلق المصحف وحمله من على السرير وقام بوضعه في مكان آخر. وها هنا يعجز العقل عن التعليق على تلك المواقف التي كانت سبباً لاهتمامي بهذه القضية ولما أقدمت عليه وقدمت من بحث فيها والتي شغلتني حوالي ستة عشر عاماً.. ولا أغالي أن قلت إنها ربما تكون اخطر قضية في تاريخ الإسلام.. ولم لا وهي قضية تبديل دين الله. فماذا يبقى من الدين بعد تبديل عماد الدين؟! ويجمح الخيال من الواقع المريض للصلاة في عصرنا إلى آفاق العصور القادمة ليرى ما يمكن أن ينتهي إليه حال الصلاة في العصور القادمة إذا لم نواجه تلك البدعة ونقضي عليها تماماً ونعود فنتبع صراط رسول الله المستقيم ولا نتبع السبل. ويحجم القلم عن التعبير عما يراه الخيال الذي يعود كاسفاً حزيناً ليرتطم بواقع الصلاة المريضة في عصرنا. ويعبر الذاكرة قول الله عز وجل

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (الحجر ٩)

فينشرح الصدر ويطمئن الفؤاد. فتلك البدعة حتما إلى زوال وأكبر دليل على ذلك أنها قد ولدت في عصر الفاروق عمر ﷺ، ومع ذلك فلم يكتب لها الاستمرار، ولم نسمع عنها إلا منذ أعوام قليلة، وذلك أكبر دليل على أنها زبد ومصيرها كمصير أي زبد هو حتما إلى الزوال.. ولم يستمر ولم يمكث ولن يستمر ولن يمكث إلا صلاة رسول الله ﷺ:

فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ (الرعد ١٧)

فسبحانه وتعالى قد تعهد بحفظ دينه، وما نحن إلا أسبابه نتحرك بمشيئته، ولا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. وها هنا تتمتم الشفاه بذلك الدعاء المأثور والذي كنا كثيراً ما نسمعه في خطبة الجمعة والذي اختفى مؤخراً من فوق المنابر.. اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا الذي هو عصمة أمرنا.

ونستطيع أن نستخلص ما قدمنا جميعه فيما يلي:

أولا: ليس للصلاة مفهوم واضح في عصرنا.. ويجب علينا أن نستنبط مفهوماً واضحاً للصلاة من الكتاب والسنة المطهرة نستطيع على ضوئه أن نناقش أي أمر يتعلق بالصلاة ولا نخرج منه بنتيجة تخالف القرآن والسنة.

ثانيا: ما من حرب معلنة إلا ويسبقها ويتخللها حرب خفية.. ونحن في عصر الحرب فيه معلنة على الإسلام.. وقد قضي على الأخلاق والمعاملات في أغلب المجتمعات الإسلامية، ولم يبق من الدين إلا العبادات.. وإذا تبدلت العبادات فقد تبدل دين الله كلية.. وأما إذا حافظنا على نقاوة العبادات وسنتها فسوف يظل الأمل باقياً في العودة إلى سالف العهد بالأخلاق والمعاملات الإسلامية.

ثالثاً: إن قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة هي قضية قديمة.. وكان مولدها في عصر الفاروق عمر ﷺ ولقد حكم فيها ونهى عن الصلاة في المصاحف.. فمن ذا الذي يحكم في قضية قد حكم فيها عمرﷺ، وهو غني عن التعريف به أو الثناء عليه.

رابعاً: ليست الصلاة أهواء وآراء وجدلا عقيما وفتاوى عرجاء.. إنما هي صلاة واحدة مثيلتها واحدة مثيلة صلاة رسول الله ﷺ. فهكذا أراد الله أن نعبده كما بين المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. ولا سبيل لعبادة الله إلا إتباع رسول الله ﷺ وإذا كنا لا نتبع رسول الله ﷺ في العبادات.. ففي أي شئ نتبعه؟ فليس للصلاة من أولياء أمور سوى ولي أمر واحد وهو رسول الله ﷺ، ولا يجب أن نأخذ بأي شئ في الصلاة إلا إذا كان صادراً عن صاحب السنة المطهرة صلوات الله وسلامه عليه حتى نحافظ عليها قلباً وقالباً وحتى نطمئن بأنها الصلاة التي شرعها المولى عز وجل وبينها رسوله ﷺ.

خامساً: إن ما يقال في نهاية كل فتوى قد صدرت بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة لا يبطل الصلاة لأنه يعتبر عملاً من أعمال الصلاة. فذلك القول هو قول باطل يشهد ببطلانه.. وذلك لأن رسول الله ﷺ لم يترك الصلاة دون أن يحدد أعمالها ويحكمها تماماً حتى لا تتسرب إليها البدع ولكي لا تكون نهباً للأهواء والتبديل فليس للصلاة إذن من أعمال سوى الأعمال التي حددها وبينها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه. وليست أعمال الصلاة هي مفتوحة لكل على هواه وكما يتراءى له.

سادساً: كل ما جاء من حجج في جواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة هي حجج واهية لا سند لها من السنة المطهرة. ونكتفي هنا بان نركز على ذلك القول المشهور في نهاية كل فتوى وهو الذي يقولون فيه: والأولى والأرجح هو عدم النظر في المصحف أثناء الصلاة... الخ.

وأمام ذلك القول نجد سؤالاً يطرح نفسه ولا مفر منه وهو: إذا كان الأولى والأرجح لم يتبع في المسجد الحرام.. فأين يتبع الأولى والأرجح؟! ولا نزيد، احتراماً للمسجد الحرام وللقائمين عليه. إلا أن ذلك السؤال الحائر الغاضب الحزين يظل يتردد ويتردد.. من يحمي عماد الدين من التبديل؟!

وعند المسجد الحرام نتوقف في خشوع ونتجه إلى ولينا سبحانه وندعوه ونبتهل إليه أن يخرجنا من الظلمات إلى النور

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (البقرة ٢٥٧)

ونحمد الله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ونسأله سبحانه وتعالى أن يكون حسابنا يسيراً وأن نؤتى كتابنا بيميننا يوم يقوم الأشهاد ويوم يقوم الناس لرب العالمين. وما قدمنا إلا صيحة تحذير لقومنا من خطر قائم يحدوه خطر قادم هو محقق إذا لم يدرأ ذلك الخطر القائم ويقضي عليه تماماً. وما قدمنا إلا تذكرة بتحذير المولى عز وجل عن مخالفة أمر رسول الله ﷺ كما جاء في كثير من آيات الكتاب وكما جاء في سورة النور:

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (النور ٦٣)

وصلى الله عليه وسلم على صاحب السنة المطهرة والتي من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل أبدا.

الباب الثالث

تفـرقـوا شَـذَرَ مَـذَرَ

كنت أود أن أحصر القضية في الأقوال الفقهية المتعلقة بها والرد عليها، وكذلك في الحجج الباطلة وبالحق دحضها، إلا أن تلك البدعة قد انتشرت بين الناس قبل صدور الأقوال الفقهية فيها والفتاوى المتعلقة بها. لذلك فقد وجدنا أنه لابد من البحث عن الأسباب والحجج التي سبقت ذلك والتي زينت الباطل في صورة الحق وألبسته لباس التقوى والورع. ونظل وراء تلك الحجج الواهية نبطلها ونتعقبها ونقضي عليها حتى تتكشف الأسباب الخفية وراء انتشار تلك البدعة.. فلا يبقى لمستمسك بها أو مدافع عنها حجة. فالصلاة هي القائم الوحيد الذي ترتفع عليه خيمة الإسلام والذي بدونه لا ترفع خيمة الإسلام ولا يقوم للإسلام قائمة. ولقد أشرنا إلى ذلك في بداية بحثنا للقضية.. وذلك في مقالنا الثاني حينما تحدثنا عن العماد والعمود والفرق بينهما.

وما تلك الأسباب والحجج التي نحن بصدد طرحها ومناقشتها إلا أقوال وآراء قد انتشرت بين الناس وقد تمسك بها الذين يريدون أن يظهروا بين الناس في صورة التقوى والصلاح.. ولقد زين لهم الشيطان ذلك العمل وصدهم عن السنة المطهرة وتحولوا وتفرقوا عن سبيل رسول الله ﷺ والذي هو سبيل الحق سبحانه وصراطه المستقيم. وهذا ما سوف يتضح من المواقف التالية والتي سوف يتبين من خلالها أيضا تلك الحجج الباطلة والألاعيب الشيطانية.. وكذلك أيضا الآفات النفسية التي تجعل بعض المسلمين يقع في تلك البدعة أو يقبل عليها.. أو حتى يتصدى للدفاع عنها وهو غير فاعلها. وما سوف نذكره من مواقف قد عشناها سواء كانت قد وقعت في مسجد أم في بيت أم في شارع أيضا.. فما هي إلا أمثلة أو نماذج لعديد من المواقف المتشابهة معها والتي تحدث في أماكن شتى من بلاد المسلمين. فما سوف نذكره إن هو إلا أمثلة ولا نعني به شخصاً بعينه أو مسجداً بالتحديد.. فما هي إلا أمثلة للإيضاح قد دعت للبحث وحركت الفكر.

ولقد اخترنا لهذا الباب عنواناً قد يبدو غريباً بعض الشئ وهو: تفرقوا شَذَرَ مَذَرَ. فقد كان العرب يقولونها بمعنى تفرقوا مذاهب شتى مختلفين.. وما هي إلا

تحية للعربية التي صار معلموها لا يفرقون بين العماد والعمود.. فقد ضربوا بالعماد عرض الحائط وحولوه إلى عمود.. فتاه ذلك العماد بين الأعمدة.. ونشأت بذلك أجيال قد اختلط عليها الأمر وتاهت عن عماد الدين أو ظنته عموداً كأي عمود. وإذا كنا بتلك التحية المتواضعة قد حيينا العربية وحركنا فكر القارئ الكريم وقلبه.. فما ذلك أيضا إلا اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ لما أوصى بالعرب وبالعربية وذلك في قوله: " أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي "[1] ويقول سبحانه في قرآنه:

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (الأنعام ١٥٩)

فلننظر إذن في هذه المواقف التي يتبين منها بوضوح الاختلاف والتفرق في أداء الصلاة.. والتي يتضح منها أيضا الاستهانة بالسنة المطهرة والتي وصلت إلى أداء الصلاة.. وخصوصاً في النافلة.. وهو ما يتضح منه أيضا الفكر الضال عن رسول الله ﷺ.. وعن الدين بصفة عامة.

الموقف الأول:

دخلت أحد المساجد ذات ليلة من رمضان ١٤١٨ هـ لأداء فريضة العشاء والتراويح. فأمنا في فريضة العشاء شاب يعمل طبيباً.. وهو يجيد تلاوة القرآن بصوت حسن يتحرك بالمعاني مع الكلمات مما يشد سامعه ويدعوه للخشوع. ولما انتهينا من أداء الفريضة تقدم للإمامة رجل يبدو من مظهره أنه من المتمسكين بالسنة.. فقد أطلق لحيته وغطى رأسه وارتدى جلباباً قصيراً. ومنذ أن بدأ إمامنا ذلك يتلوا القرآن في الركعة الأولى من صلاة التراويح حتى وجدت أنني لم أعد أشعر بما كنت اشعر به من قبل من خشوع وراء إمامنا ذلك الشاب الطبيب.. بل والأكثر من ذلك انه قد تملكتني حالة من الضيق الشديد أثناء الركعة الثانية. ولم أكن أعرف لضيقي ذلك سبباً. وبعد أن انتهى الإمام من الركعتين وسلمنا وراءه التسليمتين ثم قمنا وراءه لأداء ركعتين ثانية. أبصرت أمامه حاملاً يضع فوقه مصحفاً كبيراً كان مفتوحاً وفوقه نظارته التي تناولها ووضعها فوق عينيه قبل أن يرفع يديه بتكبيرة الإحرام. والآن فقط قد عرفت سبب ضيقي بالصلاة وهجران الخشوع.. فقد كان إمامنا يقرا من المصحف أثناء الصلاة. وبالفعل فقد أخذ يقرأ منه بعد ما انتهى من قراءة فاتحة

([1]) فى الصحيحين البخاري ومسلم وكذلك فى شعب الأيمان للبيقهى.

الكتاب. وبعد أن انتهى من قراءة بعض آيات من الكتاب خلع نظارته ووضعها فوق المصحف الذي تركه مفتوحاً ثم كبر وركع.. وكذلك فعلنا وراءه. وبعد أن عرفت سبب هجران الخشوع في الصلاة فقد عقدت العزم على أن أنتظر حتى ينتهي الإمام من الركعتين ونسلم وراءه.. ثم أعود إلى بيتي مسرعاً.. فأعيد صلاة التراويح.. وكأنني لم أصل وراءه شيئاً. وكأن الخشوع لا يأتي في الصلاة إلا لمن يقرأ القرآن في صلاته عن ظهر قلب. فالخشوع محله ومصدره القلب الذي يخرج منه القرآن حاملاً معه الخشوع الذي تتأثر به كل جوارح الإمام وحواسه في الصلاة فتستقبله كذلك قلوب الذين يصلون وراءه.. فللقلوب لغة ترسلها وتستقبلها. والقرآن لغة قلوب فوق ما هو لغة لسان. فإذا اختزنته القلوب ووعته صدر منها لكي تستقبله القلوب قبل العقول. وفى ذلك يقول سبحانه:

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ (الحديد ١٦)

وانتهى شهر رمضان.. ورأيت أن أذهب إلى ذلك الإمام الذي أمنا في الصلاة من المصحف واسأله عن تلك الصلاة الغريبة علينا والتي لم نرها ولم نسمع عنها من قبل.. وهل لديه حجة من سنة رسول الله ﷺ. ولما سألته عن ذلك أطرق قليلاً.. ثم أجاب بالنفي. ثم أردف قائلاً بأنه لن يفعلها ثانية.. ثم أخذ يعبر عن ندمه ويدعو الله أن يسامحه ويعفو عنه. وافترقنا على خير والحمد لله. ولكنني حينما التقيت به مرة أخرى كان وجهه مختلفاً تماماً.. فلم أر منه الابتسامة والترحاب الذي تعودت أن أراه منه كلما التقيت به. وما أن صافحته حتى أخذ يطلق كلمات ثائرة عن إنكاري للصلاة من المصحف.

فظننت في بادئ الأمر أنه قد اهتدى إلى حجة من السنة المطهرة. فتوجهت إليه مسرعاً بالاستفسار. فأجاب بالنفي. ثم أخذ يحتج بان أناسا كثيرين من الذين يعتبرهم علماء في السنة وأهلها يفعلونها.. ولقد سألهم في ذلك فأجابوا بان لا مانع.. ولا باس. ولقد سمعنا ذلك كثيراً ممن يفعلون تلك البدعة.. وكم قرأناه أيضا في الفتاوى التي قد صدرت بالجواز. ومنهم من يضيف تبريراً آخر فيقول: بدلاً من أن الواحد يقف يصلي خمس دقائق بما يحفظ من القرآن.. فلما لا يقف يقرا من المصحف في صلاته ساعة أو ساعتان.. ولما سمعت من صاحبي ذلك لم أجد ما أقول سوى أن أدعو الله أن يهدينا سواء السبيل. والحقيقة أنه لم يكن قد نما إلى علمي بعد نهي رسول الله ﷺ عن قول لا باس فى أي شئ يتعلق بأحد أمور الدين.. فما البال والأمر متعلق

بالصلاة " ولا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس "[1]

الموقف الثاني:

كلما دخلت مسجداً لأداء أية فريضة كنت أهتم بأن أنظر حول المنبر والمحراب.. وغالباً ما كنت أرى حاملاً قد نصب لوضع المصحف فوقه للقراءة منه أثناء صلاة التراويح في رمضان أو للقيام والتهجد لمن يريد طوال العام.. وكأن ذلك النصب قد أصبح من لوازم المساجد أو من لوازم الصلاة. إلا أن المسجد الذي اعتدت غالباً أن أؤدي فيه صلاة العشاء والفجر لم يكن به حامل أو نصب. وكنت ارتاح إلى ذلك. وفي أحد الأيام من شهر صفر من عام ١٤١٩هـ ذهبت لأداء فريضة الصبح بالمسجد. وما أن دخلت المسجد حتى وقع بصري على نصب أو حامل قد وضع بين المحراب والمنبر فشغلني ذلك الأمر في صلاتي.. سامحني الله. وما أن انتهينا من أداء فريضة الصبح حتى ذهبت إلى خادم المسجد وسألته عن الذي أتى بذلك الحامل. فأجاب بأنه لا علم له بذلك وإنه قد فوجئ به موضوعاً في مكانه مثلما فوجئنا به تماما. ولما علمت بأنه ليس بعهدة عليه من وزارة الأوقاف المشرفة على إدارة المسجد طلبت منه أن يخفيه بعيداً عن نظر المصلين حتى لا يجلب عليهم الغضب والضيق والانشغال أثناء الصلاة. وعندئذ قام أحد الرجال من الذين لهم يد على المسجد وقد تعدى الستين من العمر فتناول ذلك الحامل وأعطاه لخادم المسجد وطلب منه أن يلتي به فوق سطح المسجد. ومن وقتها والحمد لله وقد اختفى ذلك الحامل من مسجدنا.

الموقف الثالث:

ثبتت رؤية هلال شهر رمضان من عام ١٤١٩هـ. فذهبت لأداء صلاة التراويح في جماعة المسجد.. وقد نودي لصلاة القيام فقمنا لأدائها وراء الإمام. ولكنني فوجئت أن الإمام حينما انتهى من قراءة الفاتحة في الركعة الأولى مد يده من بين القوائم التي هي حلية لدرابزين المنبر الذي كان عن يمينه وتناول مصحفاً صغيراً كان موضوعاً فوق إحدى درجات المنبر ثم فتحه وأخذ يقرأ منه. وعندئذ تبدد الخشوع.. ولا أظن أن ذلك الشعور قد انتابني وحدي. فقد جعل الإمام ليؤتم به كما قال رسول الله ﷺ. فإذا كان الإمام خاشعاً فإنه يفيض خشوعاً على المأموم.. وإذا كان غير ذلك فكذلك يكون حال من يصلي وراءه. وأخذ فضيلة الإمام يقرا من المصحف بعضاً من الآيات. ولما فرغ من القراءة وضع الدليل بين صفحات المصحف ثم أغلقه وأعاده

---

[1] رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم.

إلى مكانه فوق إحدى درجات المنبر. ثم خلع نظارته من فوق عينيه وطبقها ووضعها في جيبه.. وأخيرا كبر وركع.. وكذلك فعلنا وراءه. وحينما قمنا وراء إمامنا لأداء الركعة الثانية.. وما أن اعتدل الإمام في وقفته وفرغ من قراءة فاتحة الكتاب.. مد يده إلى جيبه فأخرج نظارته وفتحها ثم وضعها فوق عينيه وضبطها.. ثم مد يده وتناول المصحف ففتحه وأخذ يقرا منه كما فعل في الركعة الأولى. وكان الإمام يقوم بتلك الحركات والأفعال أثناء الصلاة بطريقة مريبة وكأنه يخشى أن يراه أيحد. وما إن انتهى فضيلة الإمام من أداء الركعتين وسلم.. وسلمنا وراءه التسليمتين حتى نهضت مسرعاً لكي أعود إلى بيتي حتى أؤدي صلاة التراويح كما امرنا رسول الله ﷺ أن نصلي كما كان يصلي وكما تعلمنا من آبائنا وأجدادنا بلا تبديل أو تحريف. فإذا كانت الصلاة أعمالا مادية فان نبضها وروحها الإخلاص الذي هو محله القلب الذي ينبعث منه الإخلاص بالخشوع. وللخشوع دلائل ومظاهر. فمظهر الخشوع الوحيد هو النظر إلى موضع السجود كما كان يفعل رسول الله ﷺ في صلاته. وأما دلائل الخشوع في الصلاة فهو عدم الحركة أثناء الصلاة إلا الحركات التي هي من أعمال الصلاة والتي بينها رسول الله ﷺ والتي أحكمها تماماً وأغلق بابها. وفى الإخلاص في الأعمال بصفة عامة والتي جعلها المعبود سبحانه أساس القبول يقول سبحانه وتعالى في الآية الأخيرة من سورة الكهف:

فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً

ولقد جاء في سبب نزولها قال ابن عباس ﷺ نزلت في جذب بن زهير ألغامدي، وذلك أنه قال: إني أعمل العمل لله، فإذا اطلع عليه سرني، فقال رسول الله ﷺ: إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ولا يقبل ما روئي فيه فأنزل الله هذه الآية. كما جاء في سبب نزولها أيضا أخرج ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاوس قال: قال رجل: يا رسول الله إني أقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه فنزلت هذه الآية. وهي التي ذكرناها من سورة الكهف.

الموقف الرابع:

في أحد أيام عيد الفطر... وبينما كنت أجلس مع بعض الأصدقاء.. وقد أخذ كل يثني على رمضان وصيامه وبركاته ولياليه.. ثم أخذ كل يسأل الأخر عن صلاة التراويح وأين قام بها وبالطبع فقد أثيرت قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة. فأخذ أحد الحاضرين يذكر أنه قد تعود أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان في بيته ويضع المصحف أمامه يقرأ منه في صلاة التراويح وتصلي زوجه وراءه..

ولما رآني أعترض على ذلك أجاب بأن العلماء قد أجازوها وقالوا: لا بأس ثم أضاف قائلاً: " افرض أن واحدا يريد أن يصلي كثيراً ويعيط هو وزوجته وهو مش حافظ القرآن يعمل إيه؟! ثم أخذ يحكي عن بكائه في صلاة التراويح وكيف كانت تنهمر الدموع. وعندئذ كان قد دخل علينا كعك العيد وأصبح ذكر البكاء والدموع أمرا مرفوضاً. فكثير من الناس يظنون أن البكاء سببه الوحيد هو الخشوع.. وذلك ظن خاطئ فللبكاء أسباب متعددة فما البكاء إلا استجابة لخلجات النفس لمؤثرات معينة قد تكون بصرية أو سمعية أو الاثنين معاً.. وربما ايضا تكون استجابة لمؤثرات جسدية مباشرة سواء كانت آلاما أم غيرها. فربما تشاهد في الطبيعة أو في فيلم أو في مسرحية من مشاهد إنسانية أو مأساة أو من أخبار عالمية ما يجعل دموعك تفيض رغما عنك.. وكذلك ربما تقرأ خبراً في صحيفة أو تقرأ رواية أو قصيدة من الشعر ما يجعلك تبكي.. وربما أيضا تستمع إلى لحن موسيقي أو أغنية فتبكي. وربما أيضا يضرب المرء زوجه أو يوبخها فتبكي طويلاً. فهل كل من وقع تحت أي من تلك المؤثرات فبكى.. فهو في حالة خشوع؟! فلكل بكاء.. ولكل دموع.. كما أن للتماسيح دموعاً. ولاشك أن الصلاة بين يدي الله عز وجل قد يتخللها بكاء ودموع وذلك البكاء وتلك الدموع ربما تكون نتاج ندم وتوبة وخشوع حقيقي.. وربما تكون لعبة من ألاعيب الشيطان حتى يزين لابن ادم سوء عمله فيراه حسناً. فالشيطان يسري من ابن ادم كسريان الدم في الجسم كما قال الصادق المصدوق ﷺ. وحتى يكون المؤمن في صلاته في مأمن من خداع الشيطان وألاعيبه.. فلا سبيل إلى ذلك إلا إتباع رسول الله ﷺ سواء بكى أم لا. كما أن الذين يبكون في صلاتهم خشية وتضرعاً لرب العالمين لا تراهم يتحدثون عن صلاتهم. بل تراهم تنطق بها أخلاقهم وأفعالهم.. ولا تراهم يسعون لاكتساب الشهرة بصلاتهم.

الموقف الخامس:

بينما كنت في طريقي إلى المسجد لأداء فريضة العشاء.. وكانت الصلاة قد أقيمت.. وقبل أن أصل إلى المسجد بخطوات قليلة حرك قلبي صوت ندي ينبعث من المسجد حاملاً القرآن.. فأسرعت الخطى حتى انتظمت في صف مع المصلين الذين كانوا قد سبقوني ووقفوا يصلون وراء ذلك الإمام صاحب الصوت الندي والذي كان يتلو القرآن حق تلاوته. وحينما انتهى الإمام من أداء الفريضة وسلمنا وراءه.. ثم جلس في مواجهة المصلين وأعطى ظهره للقبلة عملاً بالسنة المطهرة.. فقد تبين أنه أعمى ويضع نظارة سوداء فوق عينيه. وما أن أبصرت ذلك الضرير الذي أمنا في الصلاة والذي كان يتعامل بقلبه مع صلاته الذي استقبلها قلوب المصلين وراءه حتى

عبر مخيلتي سيدي عبد الله بن أم مكتوم ﷺ.. ذلك الصحابي الجليل الذي كان أعمى البصر ولكنه كان بصير القلب والذي نزل فيه القرآن يتلى إلى يوم القيامة:

فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى القُلُوبُ التِي فِي الصُّدُور (الحج ٤٦)

وعندئذ تساءلت بيني وبين نفسي وقد دار بيني وبينها حوار. فذلك رجل أعمى يحفظ كلام الله ويتلوه حق تلاوته. ولقد أم الناس في الصلاة.. فهل إذا كان من بين حساده من العميان من يريد أن يؤم الناس في الصلاة وهو لا يحفظ القرآن فهل يجوز أن يقرا القرآن بطريقة " بريل " وهو يؤم الناس في الصلاة.. وهي الطريقة التي يستعملها العميان في القراءة هذا ولم يكن قد نما إلى علمنا بعد انه قد ظهر في الأسواق جهاز "اليكتروني"[1] صغير حديث " مبرمج " عليه القرآن للصلاة يضعه المصلي في جيبه أثناء الصلاة.. وهو يعمل " بالشفرة " فإذا أراد المصلي أن يقرا القرآن فما عليه إلا أن يقول " اون " أثناء صلاته.. وهو مقطع إنجليزي بمعنى افتح أو اعمل.. وإذا أراد أن يوقفه فما عليه إلا أن يقول " أوف " وهو مقطع إنجليزي أيضا بمعنى توقف أو أغلق. وبذلك يكون المصلي قد اقتسم صلاته بينه وبين المسجل.. وذلك إذا كان يحفظ فاتحة الكتاب.. أما إذا كان لا يحفظها فلا بأس أيضا إذ أن المسجل يحفظها.. أما إذا أراد ذلك الذي لا يحفظ شيئاً من القرآن وبريد أن يجعل من نفسه إماما.. وهو الذي يسمونه الإمام غير الحافظ في صلاة " التكنولوجيا " الحديثة، فعليه فقط أن يضع سماعات في أذنيه وأن يغلق صوت الجهاز الخارجي فيكون الصوت بذلك يصل إلى أذنيه فقط فيردده وراء مقرئ الجهاز. وبذلك الاختراع " التكنولوجي " الرائع فقد حلت مشكلة ذلك الحسود الذي يريد أن يؤم الناس في الصلاة وهو غير حافظ للقرآن سواء كان أعمى أم مبصراً. وهكذا قد "تعهدت التكنولوجيا " الحديثة الصلاة بالتبديل والتبديد.. ومنذ أن بدأت بمصحف التهجد والذي اشرنا إليه مراراً من قبل.. وها هي قد قدمت للمسلمين جهاز الصلاة الفندقية " المبرمج ".. وهكذا قد فرضت " التكنولوجيا " الحديثة كلمتي " اون " و" أوف " على الصلاة فصارتا من أعمال الصلاة التي فتح بابها على مصراعيه " للتكنولوجيا " الحديثة.. وما علينا إلا أن نستقبل كل ما يجد في عالم الصلاة من طرفة وحداثة. وربما يعن للقائمين على " تكنولوجيا " الصلاة أن يجعلوا لذلك الجهاز " المبرمج " عليه القرآن الكريم خلفية موسيقية هادئة.. وسوف يزينون ذلك بأنه لاستجلاب

(١) الإعلان عن جهاز إليكتروني صغير مبرمج عليه القرآن الكريم للصلاة، انظر ملحق رقم (٤).

الخشوع في الصلاة. وليس ذلك ببعيد.. ولن يكون بغريب. فأمر الصلاة قد صار للتكنولوجيا " ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الموقف السادس:

وتستمر الأحداث والمواقف التي عشتها في هذه القضية.. وقد اقترب شهر رمضان من العام التالي.. أي في عام ١٤٢٠هـ. ولقد بقي على ليلة الرؤية حوالي عشرة أيام تقريباً. وكنت قد تعرفت على شابين من رواد المسجد يحفظون القرآن بأكمله ويجيدون تلاوته عن ظهر قلب.. ولقد كان أحدهما شاباً نورانياً.. لم يكن قد تجاوز الثامنة عشر من العمر.. بينما كان الآخر في الخامسة والثلاثين تقريباً.. فاتفقت معهما ومع الإخوة المسيطرين على المسجد في جلسة هادئة على أن يقوم حملة القرآن الكريم وإن كانوا شباباً بإمامة الناس في صلاة التراويح عملاً بالسنة المطهرة والتي قدمت حامل القرآن للإمامة عمن سواه.. وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ " إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أقرؤهم للقرآن، فإذا كانوا في القراءة سواء فأكبرهم سناً، فإذا كانوا في السن سواء فأحسنهم وجهاً [1].

وقد وافق رؤوس المسجد الذين حضروا ذلك الاتفاق.. أما البعض الآخر فقد كانوا غائبين.. وليلة رؤية هلال رمضان وقد ثبتت. ذهبت إلى المسجد لأداء صلاة التراويح وراء حملة القرآن. ولكني فوجئت أن أحد الشابين قد اختفى من المسجد بينما جلس حامل القرآن الآخر وهو ابن الخامسة والثلاثين في الصفوف الخلفية. وحينما ازداد عدد الجالسين بالمسجد في انتظار إقامة صلاة التراويح أخذ أحد الحاضرين يلتفت حوله ووراءه.. وهو أحد رؤوس المسجد الذين لم يحضروا الاتفاق الذي قد تم من قبل بالمسجد على أن يؤم الناس في صلاة التراويح حملة القرآن وإن كانوا شباباً عملاً بالسنة المطهرة. وكان ذلك الرجل في الحلقة السابعة من العمر وله كلمة في المسجد.. فنادى على خادم المسجد وطلب منه أن يأتي بالحامل الذي يضع عليه المصحف للقراءة منه أثناء الصلاة.. ولقد ألقى الأمر إلى خادم المسجد بشدة وحسم. إلا أن خادم المسجد لم يستسلم وامتنع عن الإتيان بذلك الحامل أو النصب واحتج بأنه فوق سطح المسجد ولا يستطيع أن يصعد إليه في الظلام.. كما أن ذلك الحامل قد علته القاذورات وهو يحتاج إلى نظافة وذلك يتطلب وقتاً. وعندئذ قام رجل قد اعتاد أن يصلي بالناس إماما وخاصة في صلاة التراويح.. وقد أمسك مصحفا صغيراً في يده لكي يقرا منه كما اعتاد.. فهو من الذين يفضلون الإمساك بالمصحف

---

[1] عن زيد الأنصارى لسعيد بن منصور فى سننه ولأبى نعيم فى حليه الأولياء وللبيهقى فى السنن.

أثناء الصلاة. وبالبرغم من ظهور الإمام ذلك والذي اعتاد الناس عليه.. فلم يستسلم الرجل عن إصراره على الإتيان بالحامل لكي تقوم الصلاة على الطريقة التي يهواها والتي يهواها معه بعض الناس وان كانوا أقلية بالمقارنة بالذين قد ظهروا بمظهر المتمسك بالسنة والذين اعتادوا أن يصلوا وراء إمامهم الذي يمسك بالمصحف أثناء الصلاة. وكادت أن تحدث بين الرجل والمتمسكين بالسنة مشادة لولا انه استسلم. وبينما كنت أجلس وسط ذلك الخضم.. وقبل أن ينادي الإمام لصلاة القيام عبر ذاكرتي قول رسول الله ﷺ " لا يكن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إذا أحسنوا أحسنت وإذا أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم [1]". فقمت من فوري وتوجهت إلى المصلين فألقيت عليهم السلام وهنأتهم بحلول الشهر الكريم. ثم قفلت عائداً إلى بيتي لكي أؤدي صلاة التراويح على سنة رسول الله ﷺ والتي لا أعرف غيرها صلاة.

وفى الطريق من المسجد إلى البيت.. برقت مخيلتي صورة سيدنا أبي بكر ﷺ وهو خليفة رسول الله ﷺ.. وهو يمشي في جيش أسامة بن زيد ﷺ ممسكاً بخطام فرس أمير الجيش الشاب بعد أن رفض الخليفة ﷺ أن ينزل الأمير الشاب من فوق فرسه.. وسار على قدميه بجواره يدعو له وينصحه ويستأذنه أن يترك له الفاروق عمر ﷺ لكي يعاونه في إدارة شئون المسلمين بالمدينة. فما أعظمها صورة لعظماء الرجال الذين أقاموا خير أمة أخرجت للناس والتي أسسها رسول الله ﷺ. فقد انصهرت الأنا لكل في بوتقة الإسلام وطردت خبثها فصاروا جميعاً أنا واحدا.. فكانت لهم العزة والسيادة في الأرض. وكانت من واجبات أسامة ﷺ أمير جيش المسلمين.. ابن السابعة عشر ربيعا.. إمامة جماعات جيش المسلمين عملاً بالكتاب والسنة في الصلاة.. ولقد كان في جيش أسامة ﷺ من هو في سن أبيه ﷺ ومن هو في سن جده ايضا. رضي الله عنك يا سيدي الشاب.. يا من نشأت في طاعة الله وأبليت شبابك في الجهاد في سبيل الله.. وهنيئاً لك ظل الله يوم لا ظل إلا ظله.

عبر مخيلتي ذلك المشهد العظيم لأجدادنا العظماء بينما كنت في طريق العودة من المسجد إلى البيت بعد أن رفض بعض الشيوخ الصلاة وراء شبابنا الذين يحفظون القرآن. وما أن دخلت البيت حتى وجدت البكاء قد غلبني على ما وصل إليه حال المسلمين من جهل بدين الله وكبر وعناد وتباغض وتحاسد قد وصل إلي المساجد.. وقد وصل إلى الصلاة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

[1] رواه الترمذى.

الموقف السابع:

ولقد كنت أهتم أيضا بالحوار مع أهل الفطرة وبسطاء المسلمين حول هذه القضية.. ونكتفي بالآتي مثلاً. فقد كان صلاح رحمة الله عليه من أهل الفطرة السليمة وبرغم أن حظه من العلم كان قليلاً إلا أن حظه من الأخلاق كان رفيعاً.. ولم يكن يحفظ من القرآن إلا قصار السور.. ولا تراه يتحدث في الدين ولا يحاول أن يلفت النظر إلى أنه من الذين يحافظون على الصلاة. سألته ذات ليلة من ليالي رمضان.. بينما كان واقفاً: إيه رأيك في قراءة القرآن من المصحف أثناء صلاة التراويح؟ فأجاب على الفور: ما ينفعش طبعاً. ولما سألته عن عدم النفع. أجاب بتلقائية وبساطة:لأن الواحد وهو يصلي لازم يقف في خشوع. فقلت مستفسراً: إزاي. فلم يجب. بل بسرعة وتلقائية وضع الرجل كفه فوق ذراعه الأيسر أسفل قلبه.. وطأطأ برأسه ورمى ببصره نحو الأرض. ثم قال: هي دي وقفة الخشوع. ومع ذلك.. فلم اكتف. بل سألته أيضا. إشمعنا كده وقفة الخشوع؟! فأجاب بابتسامة: هو لو عيل مؤدب واقف قدام أبوه.. يصح يرفع عينه فيه.. ولا يبص بعيد عنه ! ولما رآني الرجل صامتاً.. أردف قائلاً: طب ده الواحد وهو يصلي

يقف قدام ربنا.. يبقى أزاي يرفع عينه من الأرض. ومع ذلك أيضا فلم أكتف. بل رددت قائلاً: بس ده اللي يصلي يبص في المصحف.. وده كلام ربنا. وعندئذ احتد الرجل وقال: ولو.. برضه ما ينفعش. الرسول علمنا لما نصلي نقف كده. وسرعان ما وقف وقفة الصلاة.. وصمت برهة.. ثم قال: هو إحنا حنصلي على مزاجنا. ماينفعش.. ماينفعش.

وهكذا قد نطق الرجل بفطرته النقية بما فيه غنى عن أقوال الفقهاء والعلماء في هذه القضية.. وبما فيه غنى أيضا عن كتابنا هذا. وإنه ليحضرني قول سيدي الإمام مالك رحمة الله عليه في الفقه إذ سئل ذات يوم: ما الفقه يا إمام؟ فقال رحمة الله عليه: ليس الفقه بكثرة الرواية.. إنما الفقه هو نور يلقيه الله في قلب عبده. وما ذلك القول للإمام مالك رحمة الله عليه إلا مصداقاً لقول الله عز وجل في سورة النور

نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (النور ٣٥)

الباب الرابع

عودة إلى مفهوم الصلاة

لقد قلنا في احتجاجنا لجريدة الأهرام حول الفتوى الصادرة بها بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الفريضة والنافلة والذي تقدم ذكره في مقالنا الأول من كتابنا هذا :إن المنطق السليم يقول أننا قبل أن نناقش ما هو متعلق بأمر ما لابد أن يكون لذلك الأمر مفهوم واضح لدينا.. وكما هو واضح أنه ليس للصلاة مفهوم واضح في عصرنا.

ثم نضيف الآن أنه لابد أن نبحث عن مفهوم واضح للصلاة مستنبطاً من الكتاب والسنة المطهرة نستطيع من خلاله أن نناقش أى أمر متعلق بالصلاة. ولقد منَ الله علينا من فضله باستنباط مفهوم للصلاة من الكتاب والسنة المطهرة ولقد ضمنا ذلك المفهوم مقالاتنا التي أرسلنا بها إلي فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف وكذلك أيضاً أرسلنا إلي فضيلة مفتي الجمهورية، وذلك المفهوم للصلاة يقول: إن الصلاة هي إقرار بالطاعة والعبودية والتوحيد لرب العالمين.. وفي ذلك إقرار بإتباع رسول الله ﷺ ولم نتطرق لشرح ذلك المفهوم للصلاة وذلك لعدة أسباب نذكر منها أن ذلك المفهوم ينطق بروح الصلاة في الكتاب والسنة المطهرة.. ولا نعتقد أنه يمكن أن يختلف عليه أحد من المسلمين أو ينكره أما السبب الثاني أننا كنا نكتب ونتحرك علي عجالة من الأمر نظراً لاقتراب شهر رمضان والذي تنتشر فيه تلك البدعة بين المسلمين أما السبب الثالث فهو أننا كنا نود أن يتحرك أولو الأمر منا أو القائمون علي شئون الدين فيقضون علي تلك البدعة ويحمون عماد الدين من التبديل.. وذلك كما هو واضح من تسلسل كتابنا هذا والذي بدأ برسائل احتجاجاً إلي فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف وإلي فضلية مفتي الجمهورية. أما وقد تتطور الأمر ولم نجد مندوحة من نشر كتاب حول هذه القضية.. فنجد أنه لزاماً علينا أن نتناول ذلك المفهوم بالشرح والتفصيل. وقبل أن نمضى في ذلك لابد أن نقر بأنه لا بأس من حدوث خلافات بين المسلمين إذا اتبعوا هدي الله في بحثها وحسمها. وهذه الخلافات التي قد تحدث بين المسلمين والتي بين هدي الله سبحانه وتعالي كيفية حسمها في كتابه الكريم والتعامل معها تنحصر في أربع حالات وهي كما يلي:

أولاً: خلافات بين عوام المسلمين:

وتلك الخلافات التي قد تحدث بين عوام المسلمين بعضهم وبعض يجب ردها إلى أولي الأمر وعلماء الأمة والذين يردونها بدورهم إلي الله ورسوله أي إلي الكتاب والسنة فيستنبطون منها الأحكام الشرعية التي هي ملزمة لكل المسلمين ولا يستطيع أن ينكرها أحد وذلك لقول الله عز وجل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ (النساء ٥٩)

ثانياً: خلافات بين أولي الأمر أو علماء الأمة:

أما إذا كانت الخلافات بين أولي الأمر أو بين علماء الأمة.. فحينئذ يجب ردها إلى الله ورسوله ولا يقول فيها أحد برأيه دون سند من الكتاب والسنة كما هو الحال في قضيتنا تلك.. قضية قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة.. والتي قال بها بعض العلماء برأيهم دون سند من الكتاب والسنة بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة.. ولقد أتيح لأولئك النفر من العلماء ظهور رأيهم ونشره على الناس بينما لم يعط الرافضون لذلك مثلهم من الفرصة حتى وإن كان قولهم يستند إلى الكتاب والسنة. فتلك الخلافات بين أولي الأمر أو بين علماء الأمة يجب ردهما أولا إلى الكتاب والسنة وذلك عملاً بما جاء في آخر الآية التي تقدم ذكرها من سورة النساء:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (النساء ٥٩)

وفى هذا الشأن ذاته يقول عز من قائل ايضا:

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ (المائدة ٩٢)

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (آل عمران ٣٢)

وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (النور ٥٢)

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (النور ٥٤)

ثالثاً: خلافات حول تطبيق أي أمر من أمور الدين:

إذا احتدم الخلاف بين أولي الأمر أو علماء الأمة حول تطبيق أي أمر من أمور الدين أو إذا استشكل عليهم تطبيق أي أمر ما فيجب أن يلتمسوا الهدى أولا عند رسول الله ﷺ.. وإذا حاولوا أن يلتمسوا الهدى في كتاب الله مباشرة فلن يجدوا الهدى في الكتاب إلا أن أرجعوا إلى طاعة رسول الله ﷺ كما جاء في الكثير من آي الكتاب والذي نكتفي منه بذكر الآتي:

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (آل عمران٣١)

فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما (النساء ٦٥)

وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا (النور ٥٤)

وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (النور ٥٦)

رابعاً: خلافات حول مفهوم أي أمر من أمور الدين:

أما إذا استشكل الأمر بين أولي الأمر أو علماء الأمة حول مفهوم أي أمر من أمور الدين أو أغمض عليهم. فعندئذ يجب رد الأمر إلى الله سبحانه أي إلى كتابه الكريم فنتعرف على روح ذلك الأمر أولا ومفهومه من الكتاب ثم نعود به إلى السنة المطهرة فننظر فيها ما يجوز لتطبيق ذلك الأمر وما لا يجوز.. وهذا ما حدا بنا لكي نرجع إلى كتاب الله. أولا فنستنبط منه مفهوماً واضحاً للصلاة ثم نعود به إلى التطبيق في السنة المطهرة فنرى فيها إذا كان يجوز قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة أو لا يجوز وذلك عملاً بقوله عز وجل:

وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (الشورى ١٠)

وقبل أن نتعرف على معنى الصلاة ومفهومها في كتاب الله نجد أنه لزاماً علينا لأمانة البحث واكتمالاً للرؤيا أن نرجع أولا إلى معاجم اللغة العربية لكي نتعرف منها على المعنى اللغوي لكلمة صلاة. ولقد رجعنا إلى الكثير من معاجم اللغة العربية.. ولم نجد في هذا الأمر خيراً مما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم والذي قام بوضعه مجمع اللغة العربية وقامت بنشره اللجنة المصرية العامة للتأليف والنشر والذي بين أيدينا طبعة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م- المجلد الثاني والذي جاء به في صفحة ٨٣ ما هو نصه:

ترددت أقوال متعددة في بيان الأصل اللغوي لمعنى كلمة الصلاة منها:

(١) أنها من اللزوم – يقال صلى – كعلم – واصطلى إذا لزم الصلاة لزوم ما فرض الله ومن أعظم الفرض الذي أمر بلزومه.. او.

(٢) إنها من الصَّلاء وهو النار، ومعنى صلّى- بالتضعيف – أي أزال المرض، وهو من مأخذ الأول باختلاف في التخريج.. أو.

(٣) أنها من الدعاء، من قول شاعرهم: عليك مثل الذي صليت، إي دعوت، وفى الصلاة المفروضة دعاء، فسميت ببعض أجزائها وهو قول كثير من أهل اللغة أو..

(٤) أنها من التعظيم لقولهم في التشهد " الصلوات " أي الأدعية التي يراد بها التعظيم فسميت الصلاة بذلك لما فيها من تعظيم الله وتقديره وهو قريب. أو.

(٥) أنها من الصلا، وهو ما عن يمين الذنب وشماله في الحيوان، وأول موصل الفخذين من الإنسان، وهما يتحركان عند الانحناء والقيام في الصلاة.. أو.

(٦) أنها من الصلاة، وهو وسط الظهر من الإنسان ومن كل ذي أربع لأن الإنسان يبسط صلاة، وهو من وادي سابقه في التخريج.

ومع هذه الأوجه من التخريج اللغوي القول بأن لفظ الصلاة ليس عربياً أصيلا، وأنها في الآرمية صلوطاً من فعل معناه الانحناء والانثناء، وبالنظر فيما قدم من بيان الأصل يبدو أن القولين الخامس والسادس، الراجعين إلى أصل واحد بتراهما ينتهيان إلى المعنى الآرامي، وهو أن مأخذ الصلاة من حركة أعضاء المصلي انحناء وقياماً.

ومن هذا المأخذ المشترك يمكن القول بأن المادة موجودة في غير لغة واحدة من الساميات، مشترك فيها ويكون هذا مرجعاً – إلى حد ما – للقول بأن مأخذ الصلاة

من أعضاء للإنسان تتحرك عنده، هي الظهر أو موصل الفخذين، لما يكون من الانثناء والانحناء عند الصلاة.

والفعل صلى – مضعفاً – والصلاة اسم يوضع موضع المصدر، تقول صليت صلاة، ولا تقل تصلية، التي هي مصدر المضعف، والفاعل مُصَلٍّ، والتي هي مصدر المضعف، والمكان مُصَلىً.

ذلك ما جاء في معجم القرآن الكريم عن المعنى اللغوي لكلمة صلاة.. وكما هو واضح أن من بين معانيها الدعاء.. وذلك ما أخذ به الكثيرون وأخذوا يرددونه واقتصروا على ذلك.. فكثيراً ما نرى العلماء والمتحدثين في دين الله إذا كان الحديث في التليفزيون أو غيره.. وإذا ما سئل أحدهم عن معنى الصلاة فيقول إنها دعاء ولا يزيد. وبذلك فقد تاهت الصلاة بين الدعاء والأدعية. وذلك ما حدا بنا أيضا أن نبحث عن مفهوم واضح للصلاة في كتاب الله. فلم يقتصر القرآن الكريم على معنى الصلاة أنها دعاء كما هو الحال في أصلها الجاهلي وكما بين معجم القرآن الكريم بل أثرى معانيها واستحدث لها معاني ودلائل لم تكن معروفة في الجاهلية.. ولا علاقة لها بالدعاء. وقبل أن نتعرف على مفهوم الصلاة التي فرضت علينا في الكتاب فلنتعرف أولا على الأنواع المختلفة للصلاة والتي جاء ذكرها في القرآن الكريم حتى ندخل على صلاتنا بثراء.

أولا: الصلاة ومعناها في الجاهلية دعاء:

وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

(الانفال ٣٥) والمعنى اللغوي للمكاء هو الدعاء.

ثانياً: بعض أنواع الصلاة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم:

(١) صلاة من الله سبحانه وملائكته على المؤمنين:

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (الأحزاب ٤٣)

وبذلك القول الفصل لا يمكن أن يقتصر القول على أن معنى كلمة صلاة أنها دعاء.. ولا يمكن أيضا أن يقتصر القول على أنها أفعال عبادة.. بل لكل نوع من الصلاة قد ورد ذكره في القرآن الكريم مدلولات ومعاني.

(٢) صلوات المولى عز وجل على عباده الصابرين:

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (البقرة ١٥٥- ١٥٧)

(٣) صلوات لكل من في السموات والأرض وما بينهما:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (النور ٤١)

ولقد أخبرنا سبحانه عن تلك الصلوات للكائنات المختلفة ولم يخبرنا عن كيفيتها.. فليس ذلك من شأننا.. ولا نسأل عنه. فما نحن إلا نوع من مخلوقاته.. لنا حدود ولا يمكن لنا أن نتعداها.. فما ذلك إلا غيب.. وما علينا إلا أن نؤمن بكل ما هو غيب وقد أخبر عنه القرآن الكريم أو الرسول ﷺ.

ثالثاً: صلوات من الله سبحانه وملائكته على النبي ﷺ:

فكما هو واضح أن الله سبحانه قد أخبرنا أنه تعالى وملائكته يصلون على النبي. ولم يخبرنا عن الكيفية ولا نسأل عنها. ولكن تلك الصلاة لا يمكن أن تكون دعاء أو أفعال عبادة.. وذلك ما نرمي إليه وهو أنه لا يمكن إغلاق كلمة صلاة على أنها دعاء أو حتى على أنها أفعال عبادة.. فلكل نوع من الصلاة مفهوم ودلائل ومعان.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ (الأحزاب ٥٦)

رابعاً: صلوات من المؤمنين على النبي ﷺ:

فكما جاء في آخر الآية السالفة الذكر أن الله سبحانه قد أمر المؤمنين بالصلاة على النبي ﷺ:

إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً (الأحزاب ٥٦)

ونجد أنفسنا نقف برهة عند كلمة تسليماً التي جاءت في الآية والتي هي معناها اللغوي أو البلاغي أنها تعني كثيراً كما جرى به القول.. ولا نختلف على ذلك

إلا أن المعنى الشامل والأعمق نستطيع أن نستنبطه من آيات أخرى. فقد أجمعت الأمة على أن القرآن يفسر بعضه بعضاً. ولقد جاءت كلمة تسليماً أيضا في أية أخرى مصاحبة لحق من حقوق النبي ﷺ على المسلمين وحسماً لأي خلافات قد تقع بينهم. وإن كانت الآية الآتي ذكرها قد نزلت في أهل الكتاب إلا أنها عمت الكل والمسلمون أحق وأولى بها إذ يقول سبحانه:

فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (النساء ٦٥)

فلا شك أن كلمة تسليماً قد جاءت في هذه الآية بمعنى استسلاماً للنبي ﷺ في كل حكم يصدره وفى كل عمل قد عمله وفى كل قول أيضا قد بلغنا عنه استسلاماً تاماً. وإذا كان الاستسلام للعدو هو انقياد وطاعة بلا قيد ولا شرط.. فإن الاستسلام للحبيب يكون طاعة وحباً ووفاء وفناء ويتجلى ذلك بوضوح في قوله سبحانه

النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِم (الأحزاب ٦)

إذن فرسول الله ﷺ أحب إلينا من آبائنا وأمهاتنا وأبنائنا وعشيرتنا. فهو ﷺ أحب إلينا من أنفسنا. وذلك ما يؤكده أيضا قول النبي ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه "[1] ويقول ﷺ أيضا: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين[2] ". ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون ذلك جيداً فمنهم من كان يقول لرسول الله ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله. ومنهم أيضا من كان يقول: فداك نفسي يا رسول الله. كما كانوا رضوان الله عليهم يتبعون النبي ﷺ كإتباع الظل لصاحبه.. لا ينفك عنه.. كذلك كان إتباع المسلمين للرسول ﷺ حينما كان بين أظهرهم. أما وقد غاب عنا صلوات الله وسلامه عليه فإن التأسي به يكون باقتفاء آثاره صلوات الله وسلامه عليه. واقتفاء الأثر يكون بتتبع وقع الإقدام على الأرض لما تتركه من طبع عليها.. أي بإتباع الأفعال. فهب أنك في صحراء جرداء وليس فيها من عالم سوى آثار أقدام. فطريق النجاة الوحيد في ذلك التيه الغريب أو في تلك الصحراء الموحشة هو اتباع تلك الآثار للأقدام خطوة.. خطوة. كذلك هو حال المسلمين بعد أن غاب عنهم رسول الله ﷺ. فلا طريق للنجاة إلا باقتفاء آثاره ﷺ.. أي باتباع أفعاله ولا نتجرف عنها قيد شعرة

---

(1) للإمام أحمد ففى منده.

(2) للبخاري ومسلم ولأحمد في منده وابن ماجه.

فنحن لا نعرف إذا انحرفنا عن آثار سيدنا رسول الله ﷺ إلى أين المنتهى.. أما إذا اتبعنا الآثار خطوة بخطوة فالنهاية الحتمية تكون عندما انتهى صاحب الأثر. فالنجاة.. النجاة في اتباع أفعاله. فالنجاة.. النجاة في التأسي بالمصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

خامساً: صلوات من النبي ﷺ على المؤمنين:

فكما فرض الله سبحانه وتعالى على المؤمنين الصلاة على النبي ﷺ.. كما بينا فيما تقدم.. ففي المقابل فقد أمر الله سبحانه النبي ﷺ بالصلاة على المؤمنين. وذلك في قوله سبحانه:

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (التوبة ١٠٣)

وذلك الأمر من الله سبحانه لرسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه لم يكن ساريا في حياته فحسب وقد انتهى بعد انتقال النبي إلي الرفيق الأعلي.. إنما هو أمر الله سار لا يتوقف إلي أن تقوم الساعة. وما ينطبق علي المسلمين في حياة النبي ﷺ فهو ينطبق أيضاً علي المسلمين الذين جاءوا من بعده في كل عصر.. فلم يكن النبي ﷺ يقبل الصدقات لنفسه.. إنما هي للفقراء والمساكين والعالمين عليها ولغيرهم كما جاء ذكره في الكتاب في مواضع شتي وهي مستمرة بقيام الدين.. كذلك صلوات رسول الله ﷺ على من يستحق من المسلمين هي مستمرة أيضاً. ولكن كيف كان النبي صلوات الله وسلامه عليه يصلي علي المسلمين في حياته؟! فذلك سؤال لم يجرؤ أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أن يسأله للنبي ﷺ.. فقد سألوه فقط عن كيفية الصلاة على النبي ﷺ أما صلاة النبي علي المؤمنين في حياته وكذلك بعد انتقاله إلي الرفيق الأعلى فهي من الأمور الغيبية وهي من أسرار أنوار النبوة التي لم يطلع عليها أحد. ويظل الغيب وشئونه وأسراره هي المختبر الأساسي للإيمان. ولقد بدأ المولي عز وجل كتابه الكريم بإعلان واضح وصريح عن الشرط الأساسي والرئيسي للإيمان والدخول في الإسلام وهو الإيمان بالغيب:

الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (البقرة ١ ـ ٣)

ومما تقدم يتضح أن صلاة رسول الله ﷺ على من يستحق من المسلمين هي صلاة غيبية.. نؤمن بها ولا نسأل عن كيفيتها، أما نتائجها ومدلولاتها فقد اخبرنا الله سبحانه بها كما جاء في آخر الآية بأنها سكن للمؤمنين. وفي السكن الراحة والهدوء والطمأنينة والأمن والأمان. فسعادة الدنيا كلها للمؤمن في صلاة رسول الله عليه. فصلاة دائمة على من اختاره رب العالمين وبعثه رحمة للعالمين وتسليماً خالصاً مخلصاً كثيراً.

سادساً: الصلاة المفروضة على المسلمين:

(١) **الصلاة إقرار بالطاعة لرب العالمين:**

فباستثناء الصلوات التي ذكرناها والتي بيناها فيما تقدم من كتاب الله سواء كانت للمولى عز وجل وملائكته على رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه أو صلاته سبحانه وملائكته على المؤمنين أو صلاة النبي على المؤمنين.. فعدا ذلك كله نستطيع أن نقول: أن الصلاة نوعان.. إما صلاة تسخير وطاعة وهي التي ذكرنا من كتاب الله مثل صلاة كل من السموات والأرض وما بينهما من طير وغيره.. أو صلاة اختيار وطاعة.. وهذه الصلاة هي خاصة بالإنس والجن. أما الجن فلا شأن لنا بهم.. ونعوذ بك ربي أن يحضرون. فلنبحث إذن عن صلاتنا المفروضة علينا في كتاب الله والتي شغلتنا ونبحث عن مفهوم واضح لها من الكتاب والسنة المطهرة. فهي كما قلنا صلاة اختيار وطاعة.. فلك أن تختار أن تصلي فتكون من الطائعين أو لا تصلي فتكون من العاصين. وذلك يتضح جلياً من قوله سبحانه:

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (الشورى ٣٨)

وكذلك من قوله سبحانه: وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (البقرة ٤٣)

كما يتضح ذلك ايضا في قوله عز وجل:

وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (البقرة ١١٠)

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (التوبة ٧١)

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاَ يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠) (المرسلات ٤٧-٥٠)

ومما قدمنا من آيات بينات من الكتاب يتضح أن الصلاة هي إقرار بالطاعة لرب العالمين.

(٢) الصلاة إقرار بالعبودية والتوحيد لرب العالمين:

والحقيقة أنه لا يمكن فصل العبودية لرب العالمين عن التوحيد لرب العالمين.. إذ أن التوحيد معرفة بالقلب.. أما العبودية فهي عمل بالأركان. ولا معنى للمعرفة بالقلب دون الإقرار بالعبودية لرب العالمين والعمل بالأركان.. كما أنه أيضا لا معنى للإقرار بالعبودية لرب العالمين دون التوحيد بالقلب. وذلك يتبين في قوله سبحانه:

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ (فصلت ٣٧-٣٨)

وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (غافر ٦٠)

إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي (طه ١٤)

إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (التوبة ١٨)

قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ (إبراهيم ٣١)

قالوا يَا شُعَيْبُ أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (هود ٧٨)

قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً (١١١) (الإسراء ١١٠-١١١)

وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (البينة ١١٠-١١١)

ومن تلك الآيات البينات يتضح أن الصلاة هي إقرار بالعبودية والتوحيد لرب العالمين.

(٣) الصلاة إقرار باتباع رسول الله ﷺ:

لقد فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة في كتابه الكريم وأمر بها.. ولم يبين عدد فرائضها في اليوم الواحد.. ولم يذكر عدد الركعات في كل فريضة.. ولا ما هي شكل الصلاة التي افترضها على عباده وما هي أعمالها.. ولا ما يبطل أعمالها.. ولا ما هو يجوز فيها ولا ما هو أيضا لا يجوز. وكذلك أيضا ما هي الأقوال التي تقال فيها. إنما الذي بين ذلك كله وأحكمه تماماً هو المنوط إليه بالتطبيق وتبيانه للأمة وهو رسول الله ﷺ. وكما قلنا من قبل أن الإسلام شهادتان وليس بشهادة واحدة.. لا إله إلا الله محمد رسول الله. ففي الشهادة الأولى التوحيد باللسان.. وفى الثانية إقرار بإتباع رسول الله ﷺ يصدقه اعتقاد بالقلب يشهد له التطبيق والعمل بالأركان لإقرار العبودية لرب العالمين. ولقد ارتضى المعبود سبحانه وتعالى الأعمال التي يتقرب بها إليه والتي سميت صلاة في محكم آياته وكذلك الأقوال التي تقال فيها كما بين أول المسلمين صلوات الله وسلامه عليه سواء كان ذلك بوحي من المولى عز وجل أم كما علمه شديد القوى عليه السلام. كما أجمعت مصادر السنة وأمهات كتبها أن الصلاة قد فرضت ليلة الإسراء. ونكتفي هنا بنقل الآتي من الكتاب الذي هو بين أيدينا وهو كتاب (١) كشف الغمة عن جميع الأمة لسيدي الإمام الشعراني وهو احد علماء الأزهر الشريف وهو أيضا أحد أئمته وذلك منذ عام ٩٦٠هـ إلى أن توفاه الله رحمه الله. ونفعنا بعلمه وذلك لما وجدناه في كتابه من جمع شامل وميسر

وبأسلوب يناسب عصرنا: إذ جاء بكتابه: قال ابن عباس ﷺ " فرضت الصلاة على رسول الله ﷺ ليلة الإسراء خمسين صلاة وذلك قبل أن يهاجر بسنة ثم نقصت فجعلت خمساً ونودي يا محمد أنه لا يبدل القول لدي وأن لك بهذه الخمس خمسين ". ولقد نزل جبريل عليه السلام لكي يؤمه في الصلاة ويعلمه أعمالها كما ارتضاها رب العزة سبحانه. قال ابن عباس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يقول: " إن أخوف ما أخاف على أمتي تأخير الصلاة عن وقتها وتعجيلهم الصلاة عن وقتها " وكان ﷺ يقول: " أمنى جبريل عليه السلام عند البيت مرتين فصلى بي الظهر أربعا حين زالت الشمس والعصر أربعا حين صار ظل كل شئ مثله والمغرب حين توارت الشمس، والعشاء أربعا حين غاب الشفق الأحمر، والفجر حين برق الفجر أو قال سطع، فلما كان من الغد صلى بي الظهر أربعا حين صار ظل كل شئ مثله وصلى بي العصر حين صار ظل كل شئ مثليه وصلى بي المغرب وقتاً واحداً لم يزل عنه وصلى بي العشاء أربعا حين ذهب نصف الليل أو قال ثلث الليل وصلى بي الصبح حين أسفر جداً، ثم قال ما بين هذين وقت الأنبياء قبلك " قال أنس ﷺ: إنما بدأ جبريل بالظهر لأن رسول الله ﷺ لما جاء بالصلوات الخمس إلى قومه خلى عنهم حتى زالت الشمس عن بطن السماء ثم نزل جبريل عليه السلام، فنادى رسول الله ﷺ في قومه الصلاة جامعة ففزع القوم فاجتمعوا فصلى بهم رسول الله ﷺ الخمس صلوات لا يقرأ فيهم علانية يقتدي الناس بنبي الله ﷺ ويقتدي نبي الله بجبريل وكذلك فعل في اليوم الثاني.

ومما تقدم يتبين أن أعمال الصلاة التي ارتضاها رب العالمين عز وجل وفرضها على عباده قد بينها أمين الوحي جبريل عليه السلام، ولم يكن مع جبريل لوح يقرأ منه القرآن ولم يعط رسول الله ﷺ لوحاً يقرأ منه. فهكذا أراد الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ أن يكون قلبه مصحف قرآنه ينطق به لسانه في صلاته:

وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥) (الشعراء ١٩٢ إلى ١٩٥)

فهكذا أراد الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ أن يكون قلبه خزانة للقرآن وكذلك أراد الله سبحانه للمسلمين.. يحفظ منه كل من المسلمين ما شاء الله له أن يحفظ ويرددونه في صلاتهم عن ظهر قلب كما بين رسول الله ﷺ في الصلاة وحفظ القرآن في الصدور هو منٌ وتفضل من المولى عز وجل على من يشاء من عباده: فمنهم من يحفظ قليلاً من قصار السور وهو يجاهد نفسه طوال العمر على أن

يحفظ فلا يستطيع، بينما نجد في كل عصر من عصور الإسلام أن كثيراً من أطفال المسلمين قد حفظوا القرآن بأكمله وهم دون العاشرة من العمر. فتلك إرادة الله ومنته وفضله. فسبحانه وتعالى يمن على من يشاء من عباده وله ما يختار، وذلك حتى يكون للمسلمين أئمة في صلاتهم الجماعية.. وحتى لا تكون لهم حجة أن يخرجوا عن صلاة رسول الله ﷺ التي بينها لهم وعلمهم إياها وأحكمها بشدة وحسم في قوله ﷺ: " صلوا كما رأيتموني أصلي " والتي علمه إياها أمين الوحي عليه السلام كما ارتضاها رب العزة سبحانه وتعالى.

ومما تقدم جميعه.. نستطيع القول بأن المفهوم الرئيسي للصلاة في الإسلام هو أنها إقرار بالطاعة والعبودية والتوحيد لرب العالمين.. وفى ذلك إقرار باتباع رسول الله ﷺ. وذلك المفهوم ينطبق على كل ما هو صلاة في الإسلام حتى وإن كانت الصلاة على الميت. أما وقد بحثنا مفهوم الصلاة في كتاب الله والسنة المطهرة.. فلننظر في أعمال الصلاة ذاتها والتي بينها رسول الله ﷺ والتي علمه إياها أمين الوحي جبريل عليه السلام كما ارتضى رب العزة سبحانه أن تكون له من عباده أعمال عبادة وصلة به سبحانه وتعالى.

مفهوم الصلاة في أعمال الصلاة:

أولا: تبدأ أعمال الصلاة أولا بالطهارة ثم الوضوء كما بين رسول الله ﷺ. وما ذلك إلا إقرار بالطاعة لله ورسوله إذ يقول عز من قائل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٦)

(المائدة ٦)

وكان ﷺ يقول " إن الله لا يقبل صلاة بغير وضوء " كما قال صلوات الله وسلامه عليه ايضا " إنه لا يتم صلاة أحدكم حتى يسبغ وضوءه "[1] وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوضأ ويعلم أصحابه الوضوء. وأحاديث رسول الله ﷺ في الوضوء

[1] كتاب كشف الغمة عن جميع الأمة للإمام الشعراى باب الوضوء.

كثيرة. ومما تقدم يتضح أن الإعداد للصلاة من طهاة ووضوء هو إقرار بطاعة الله وأتباع لرسوله ﷺ.

ثانياً: الوقوف بين يدي الله عز وجل: ففي استقبال القبلة بالاتجاه إلى المسجد الحرام في الصلاة هو إقرار بالطاعة لله سبحانه إذ يقول في كتابه الكريم:

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤) (البقرة ١٤٤)

وبعد الاتجاه إلى المسجد الحرام باستقبال القبلة تبدأ أعمال الصلاة بإقامة الصلاة والتي تبدأ بالتكبير.. وفي التكبير إعلان بتعظيم المولى عز وجل كما ارتضاه.. "ففي الله اكبر" إسقاط لأي مقارنة.. فهو أكبر وكفى. وفي شهادة أن لا إله إلا الله نفي للشرك وإعلان للألوهية والتوحيد لرب العالمين. وفي إعلان الشهادة أن محمدا رسول الله إقرار باتباع رسول الله ﷺ. ثم تبدأ أعمال الصلاة برفع اليدين بتكبيرة الإحرام تعظيما لله وإقرارا بلفظ الجلالة أن الله اكبر. ثم تتتابع أعمال الصلاة.. وهي أعمال لا يجوز المقارنة بينها وبين أي أعمال أخرى حتى وان كانت أعمال عبادة.. إذ أن الصلاة هي العمل الوحيد الذي يقف فيه العبد بين يدي الله عز وجل يخاطب الله بكلام الله فيقرأ فاتحة الكتاب وما يتيسر من القرآن. ثم تتتابع أيضا أعمال الصلاة من ركوع وقيام وسجود بين يدي المعبود سبحانه وتعالى. ففي الركوع تعظيم لرب العالمين.. وفي السجود إقرار بالعبودية لرب العالمين. وإذا كان الملوك والجبابرة والأكاسرة في الأزمان الغابرة.. كان يشترط البعض منهم ويفترض للدخول عليه والمثول بين يديه الركوع أو السجود للإقرار بالعبودية له.. فلم يستطع أحد من أولئك أن يشترط أن يشهد له بالعظمة في الركوع بين يديه أو يشهد له بالعبودية والتقديس والتنزيه سراً في السجود بين يديه كما هو الحال في صلاتنا لرب العالمين سبحانه وتعالى.. فنشهد لله سبحانه وتعالى في ركوعنا بالتعظيم سراً.. ونشهد له سبحانه بالتقديس والتنزيه في سجودنا سراً أيضا.. فسبحان ربي العظيم.. وسبحانه هو الأعلى.. فسبحان من هو يعلم السر وأخفى. ولقد بين رسول الله ﷺ خاصية خاصة جداً للسجود لرب العالمين. وهي وجوب أن تمس الأنف مع الجبهة موضع السجود كما جاء في قوله ﷺ "من لم يصب أنفه ما يصيب جبينه في موضع السجود فلا صلاة له" وتلك خاصية خاصة جداً من خصائص العبودية لرب العالمين في السجود بين يديه سبحانه قد بينها أول المسلمين وخاتم النبيين صلوات الله

وسلامه عليه سواء كان ذلك بوحي من المولى عز وجل أم كما علمه جبريل عليه السلام. ثم تنتهي أعمال الصلاة بالتسليم عن اليمين وعن الشمال. فعن أنس ﷺ: كان رسول الله ﷺ يقول " مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم ". ومما تقدم من أعمال الصلاة يتضح أن مفهوم الصلاة تنطق به أعمال الصلاة ذاتها.. وهي أنها إقرار بالطاعة والعبودية والتوحيد لرب العالمين وفى ذلك إقرار باتباع رسول الله ﷺ. لا إله إلا الله محمد رسول الله.

مفهوم الصلاة في فاتحة الكتاب:

بعد أن أقمنا الحجج من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما استنبطنا من مفهوم للصلاة.. وكما بينا من الدلائل التطبيقية على ذلك المفهوم من أعمال الصلاة ذاتها. فلننظر كذلك في فاتحة الكتاب حتى نتعرف على دلائلها في الصلاة.. وهي التي قد جعلها رسول الله ﷺ ركناً أساسيا من أركان الصلاة تقرأ في كل ركعة.. ليس ذلك فحسب بل هي الشرط الأساسي لصحة الصلاة.. إذ أجمعت مصادر السنة على ذلك. قال ابن عباس ﷺ كان رسول الله ﷺ يقول: " من صلى ركعة لم يقرأ فيها بأم الكتاب فلم يصل إلا وراء إمام " وكان ﷺ يقول " من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج فهي خداج فهي خداج " فقيل لأبي هريرة ﷺ إنا نكون وراء الإمام فقال اقرءوا بها في أنفسكم فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى علي عبدي وإذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي " وفى رواية فوض إلي عبدي [1]" وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل وإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ".

قال شيخنا ﷺ: وهذا أقوى دليل على تعينها في الصلاة لأنه تعالى سماها صلاة وجعلها جزءا منها، وكان ﷺ يقول " لا يقرأن أحد منكم شيئاً من القرآن إذا جهرت إلا بأم القرآن فكان يأمر بقراءتها ويقول لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب إمام وغير إمام " [2]وكان ﷺ يقول " من صلى صلاة مكتوبة أو تطوعاً فليقرأ فيها بأم القرآن وسورة معها " وفى رواية " وآيتين معها " وفى رواية " وبشئ معها " فإن انتهى إلى أم

---

(1) رواه الدراقطنى والطبرانى.

(2) رواه أبو داود والترمذى والحاكم.

القرآن فقد أجزأ ومن كان مع الإمام فجهر فليقرأ بفاتحة الكتاب سراً في بعض سكتاته، وكان أبو أمامة الباهلي ﷺ يقول: سئل رسول الله ﷺ أفي كل صلاة قراءة، قال نعم ذاك واجب، وكان ﷺ يرخص للمأموم في ترك قراءة الفاتحة في الجهرية لاشتغاله بسماع قراءة الإمام ويقول: إذا قرأ الإمام فأنصتوا، وفى رواية من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة.

ومما تقدم من كتاب "كشف الغمة عن جميع الأمة" للإمام الشعراني رحمه الله والذي نقله عن إجماع أئمة وعلماء أهل الحديث والسنة في بيان قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة من الصلاة يتضح أن قراءة فاتحة الكتاب في كل ركعة في الصلاة هي إقرار بطاعة الله سبحانه وتعالى وإقرار بإتباع رسول الله ﷺ، كما أن المولى عز وجل قد عينها في الصلاة لأنه تعالى قد سماها صلاة. ففي الحمد لله رب العالمين إقرار بالتوحيد.. وفى إياك نعبد إقرار بالعبودية والتوحيد لرب العالمين..

وفى القراءة بفاتحة الكتاب في كل ركعة في الصلاة إقرار بإتباع رسول الله ﷺ. إذن فمفهوم الصلاة في فاتحة الكتاب هو إقرار بالطاعة والعبودية والتوحيد لرب العالمين. وفى ذلك إقرار بإتباع رسول الله ﷺ وفى ذلك المفهوم العام للصلاة في الإسلام معنى لكل صلاة في الإسلام حتى وإن كانت الصلاة على الميت.. فما الصلاة على الميت أيضا إلا إقرار بالطاعة والعبودية والتوحيد لرب العالمين وفى ذلك إقرار بإتباع رسول الله ﷺ. فهكذا ارتضى رب العزة سبحانه الصلاة والصلة والاتصال به كما بين رسوله صلوات الله وسلامه عليه.

أما القاصمة في هذه القضية لكل من يقول بجواز قراءة القرآن من المصحف أثناء النوافل فقط فهي أن الله سبحانه وتعالى قد افترض على المسلمين صلاتين قبل أن تفرض الصلاة في ليلة الإسراء وهما اللذان عرفاً بصلاة التطوع بعد فريضة الصلاة في ليلة الإسراء. فكذلك أجمعت مصادر السنة وأمهات الكتب التي حفظت السنة المطهرة. فقد جاء في قول ابن عباس ﷺ: " فرضت الصلاة على رسول الله ﷺ ليلة الإسراء خمسين صلاة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله ﷺ بسنة ثم نقصت حتى جعلت خمساً ثم نودي يا محمد أنه لا يبدل القول لدي وأن لك بهذه الخمس خمسين، وكانت الصلاة قبل ليلة الإسراء حين نسخ ما في سورة المزمل صلاتين فقط: صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة بعد غروبها " وكانت عائشة ﷺ إذا سئلت عن أول فرض الصلاة تقول: أن الله تعالى افترض أولا القيام المذكور في أول سورة المزمل فقام

رسول الله ﷺ هو وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم ثم أنزل الله التخفيف المذكور آخر السورة بعد اثني عشر شهراً فصار قيام الليل تطوعاً بعد فرضه ". [1]

ومما تقدم يتضح أنه سبحانه قد فرض أولا صلاة القيام قبل أن تنسخ وتصير تطوعاً.. ولم يكن رسول الله ﷺ يقرأ من لوح أو من مصحف وكذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون.. فقد كانت قلوبهم ألواح قرآن ومصحف آيات. وأما القاضية وهي الأخيرة في هذه القضية لكل من يقول بجواز قراءة القرآن من المصحف في النوافل فقط. أن رسول الله ﷺ كان يرفع بصره إلي السماء في الصلاة حتى نزلت سورة المؤمنون (١) **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)**

فرمى ببصره إلي الأرض ونهي الصحابة عن رفع البصر إلي السماء أثناء الصلاة فهكذا قد بين الله سبحانه هيئة الخشوع التي ارتضاها لعباده في الصلاة والتي يتقبلها منهم وهى النظر إلى موضع السجود أثناء الصلاة. ولم يترك أمر الخشوع في الصلاة لكل يخشع على هواه وكما يتراءى له. إنما الصلاة لرب العالمين هي واحدة مثيلتها واحدة مثيلة صلاة رسول الله ﷺ وإذا كان بعض السلف قد فعل غير ذلك.. فليس كل ما أتى به بعض السلف فهو محمود وصحيح وواجب العمل به.. فمنهم من أخطأ ومنهم من ضل ومنهم من أقيم عليه الحد ولا نحب أن نخوض في ذلك أو نسهب فيه. ونكتفي بأن نذكر بأن بعض السلف قد ارتد عن الإسلام بعد انتقال رسول الله ﷺ إلي الرفيق الأعلي مباشرة فالنجاة.. النجاة في الكتاب والسنة. وصلي الله وسلم علي صاحب السنة المطهرة والتي من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل أبداً.

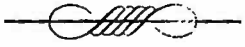

[1] كتاب أسباب النزول للواحدى النيابورى وكذلك كتاب أسباب النزول للإمام السيوطى.

خـاتمـــة

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (البقرة آية ٢٥٧)

قد يتساءل البعض: لماذا كل هذا الاهتمام بقضية الصلاة.. وكأنه ليس للإسلام والمسلمين من قضايا في عصرنا غير قضية الصلاة.. فلاشك أن أمتنا الإسلامية تعاني من الكثير من القضايا المعقدة والمتشابكة وكأنها أحبولة شيطانية قد وقع فيها المسلمون برمتهم في عصرنا. فكيف برغم ذلك نعتبر أن قضية الصلاة هي أهم القضايا الإسلامية في عصرنا؟! وبالفعل فقد سئلنا ذلك السؤال كثيرًا.

وإنا لنجيب علي ذلك بتجربة عملية قد عشناها مراراً.. وكذلك أيضا قد عاشها الكثيرون منا فمن التجربة تستخلص النتائج والعبر والمواعظ كما أن التجربة أيضاً خير شاهد فقد تعلمنا إبان خدمتنا بالقوات المسلحة حينما كنا نريد أن نقيم خيمة في الصحراء القاحلة الشاسعة والتي تهب عليها الرياح العاتية بلا موعد وبلا سابق إنذار فتجتث من فوق الأرض كل ما ليس له قرار وتطيح به فيصير لعبة للرياح التي تقذف به في أي مكان تشاء.. ولا يستعصي عليها من شئ إلا ما هو ثابت في الأرض وله في بطنها مستقر وقرار. فكان أول عمل نقوم به ونعطيه كل الاهتمام في حالة إقامة خيمة في تلك الصحراء غير الآمنة العواصف والرياح هو تثبيت عماد الخيمة جيداً.. وهو القائم الوحيد الذي في وسط الخيمة والذي بدونه لا يمكن أن ترتفع الخيمة أو تقوم لها قائمة. فنجعل لعماد الخيمة في بطن الأرض قراراً ونقوم باختباره مراراً بقوة وبشدة. كنا نفعل ذلك باهتمام شديد. حتى إذا اطمأننا علي عماد الخيمة وثبوته في الأرض ورسوخه بها.. فعندئذ فقط نقوم بغرس الأوتاد في الأرض.. ثم نشد أحبال الخيمة إلي الأوتاد بعد أن ارتفعت الخيمة واستقرت فوق عمادها وذلك حتى إذا ثارت الرياح وهبت من كل جانب.. ومهما فعلت بالأوتاد.. وحتى وإن اقتلعتها جميعاً فتظل الخيمة قائمة ومرتفعة طالما أن عمادها ثابت ومستقر في الأرض ومتين. فمن هذه التجربة العملية التي قد عشناها مراراً وقد رأينا الرياح العاتية وهى تطيح بأوتاد الخيمة وأحبالها مما يجعل قماش الخيمة يستسلم للرياح التي تلاعبه وتراقصه بشدة تريد أن تفصله عن عماده الذي يقف في شموخ وإباء يتحدى الرياح. بينما كنا نقف علي مقربة من ذلك المشهد المثير ننظر بفخر إلى

خيمتنا التي أقمناها وهي مرتفعة شامخة على عمادها.. وكأننا نناجيها.. إننا حنما إليك عائدون خيمتنا الحبيبة. وبالفعل ما كانت تسقط خيمة أقام عمادها ورفعها الرجال مهما كانت شدة الرياح. وما كانت تهدأ ثورة الرياح إلا ونعود مسرعين إلي خيمتنا الشامخة المرتفعة علي عمادها الثابت المتين الذي أقمناه لها وثبتناه في الأرض جيداً وضربنا له في بطنها مستقراً وقراراً. فنقوم مسرعين بدق الأوتاد في أماكن أخرى من الأرض غير تلك التي اقتلعتها منها الرياح.. ثم نشد إليها أحبال الخيمة.

وما كان يستغرق ذلك منا إلا دقائق معدودات. ولا أنسى أنه ذات مرة بعد ما فعلت الرياح بخيمتنا ما فعلت.. وبعد أن هدأت ثورة الرياح وقمنا بدق أوتاد خيمتنا وشددنا إليها الحبال وعدنا إليها.. وقف أحد الجنود وأخذ يحتضن عماد الخيمة ويتبله ويتعلق به ويتأرجح وهو يخاطبه قائلاً: "لولا وقفتك وصمودك كان زمنا بنتكدر ونضرب بالجزم". فقام علي الفور جندي آخر وفعل مع عماد الخيمة مثلما فعل زميله حتى خشينا علي عماد الخيمة من الانهيار.. ثم بدأ السمر في ليالي الشتاء القارسة البرودة والتي لم أر مثلها في حياتي والتي كان يغلبها الرجال ولا يبالون بها. وما أجمل السمر بين الرجال في حب الوطن حتى وإن كان في ليالي الشتاء القاسية البرودة الشديدة الرياح. ومن هذه التجربة العملية التي عشناها كثيراً كان حتماً علينا أن نهتم كل الاهتمام بقضية الصلاة والتي عبر عنها رسول الله ﷺ بأنها عماد الدين.. ثم ننقل بعدها إلي قضايا الدين الأخرى والتي هي بمثابة الأوتاد.. والله المستعان.

فعسى أن يكون قد بات واضحا وجليا وجوب الاهتمام بقضية عماد الدين وإعطاؤها الأولوية علي سائر قضايا الدين العديدة والمعقدة والمتشابكة والتي يعاني منها المسلمون في عصرنا فلا يرتفع الدين ويقوم إلا على العماد الذي بينه وحدد معالمه رسول الله ﷺ.

ونعود إلي قول كنا قد ذكرناه في رسالتنا الثانية إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشريف وكذلك أيضاً إلى فضيلة مفتي الجمهورية وهو أننا لا نخشى علي الإسلام من أعدائه.. بل كل ما نخشاه هو تخريب الإسلام من داخله. كما نعود كذلك إلي مقالنا الأول من كتابنا هذا والذي هو تحت عنوان: حول الحرب المعلنة ضد الإسلام والحرب الخفية.. والذي أشرنا فيه إلى الحرب الخفية ولم نتطرق إلي الحرب المعلنة. وذلك لما لتلك الحرب المعلنة من رجالها من الساسة والعسكريين والاستراتيجيين وغيرهم. أما الحرب الخفية والتي لا نستطيع أن نحدد

جهات عدائها فإننا نتحدث فقط عن نتائجها التي نلمسها ونعيشها ونعاني منها. وليست تلك الحرب الخفية باختراع حديث.. فالتاريخ الإسلامي ملئ بالكثير من تلك الدسائس والفتن والبدع والتي هي نتائج الحرب الخفية ضد الإسلام ومن تلك الوقائع ما وقع في عصر النبوة والرسالة.. ومنها أيضاً ما قد نزل فيه قرآن يتلى إلي يوم القيامة. وكفي بذلك موعظة حتى ينتبه المسلمون إلي تلك الحرب الخفية عبر الأزمان وفي كل العصور فلا يأمنوا مكر عدوهم وتلك الحرب الخفية لاتخرج عن أهداف محددة والتي يمكن حصرها فيما يلي:

(١) بث روح الفرقة ونشر الفتن بين المسلمين والتي قد تصل إلى حد الاقتتال بين أبناء الوطن الواحد فيخربون ديارهم بأيديهم كما حدث في أفغانستان.. فبعد أن كان أبناء الوطن الواحد من المسلمين يداً واحدة لطرد السوفيت من أراضيهم.. وبعد ما حققوه من انتصارات علي عدوهم حتى تم طرده من بلادهم.. وبعد ما تم لهم بذلك من شهادة من العالم أجمع على شجاعتهم وفدائيتهم في الدفاع عن أراضيهم وعن حريتهم وعزتهم وكرامتهم.. فبدلاً من أن يقيموا دولة حرة قوية أخذوا يخربون بيوتهم بأيديهم طوال ما يقرب من عشرة أعوام حتى كان ما كان ولا حول ولا قوة إلا بالله. وكذلك كان الحال أيضاً في بعض البلدان الإسلامية الأخرى من اقتتال بين أبناء الوطن الواحد أو من اعتداءات على دول الجوار الإسلامية.

(٢) تخريب الشخصية الإسلامية حتى يمكن هدم التماسك الاجتماعي والقضاء علي روح الانتماء للوطن الذي يراد غزوه وذلك لا يتأتى إلا عن طريق تخريب الدين من داخله سواء كان ذلك بنشر البدع والجهالة الدينية أم تنمية العادات الرذيلة ونشر الفساد أم تيسير الطريق للجهال والمفسدين حتى يتصدروا مسيرة الإسلام.... . كما هو الحال في بدعة قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة والتي ما هي إلا عمل لتيسير الطريق للجهال والمفسدين لكي يتصدروا مسيرة الإسلام. وإذا تصدر الجهل والفساد مسيرة فعليها السلام. أما تخريب الشخصية الإسلامية فهو منوط به ومتكفل به ذلك الغزو الفكري المتزين في زى التطور والرقي والتنوير المزعوم بكل أشكاله ووسائله حتى تنشأ أجيال متأرجحة الشخصية خربة العقيدة فيسهل القضاء عليها.... وبالتالي قهر الإرادة الإسلامية.. فيمكن بذلك القضاء علي الإسلام.

ولكن.. هيهات.. هيهات.. فللدين رب يحميه فحتى وإن وصل أعداء الإسلام إلي غاية المرام ومنتهي المقصد من ذلك كله.. وحتى وإن ارتد بعض المسلمين عن دينهم في أي بلد من البلدان الإسلامية.. فليس معني ذلك أنه قد تم لهم المراد.. وقد تم القضاء علي دين الله. فلن يخرج ذلك كله عن إرادة الله.. ولن يكون إلا عملية استبدال أقوام بأقوام إذ يقول عز من قائل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) (المائدة ٥٤)

وتلك الحرب الخفية يستطيع كل مسلم أن يتصدى لها وأن يقاومها. فأمر ذلك سهل وميسر لكل من يريد.. وهو رفض كل ما يجد على الدين ونبذه ما لم يكن له مرجع من الكتاب والسنة المطهرة.. ورفض كل ما لا يوافق الكتاد والسنة مهما كان شكله وزينته.. أى القبض على الدين كالقبض علي الجمر وأن نعض علي الكتاب والسنة بالنواجذ كما أوصى صاحب السنة المطهرة صلوات الله وسلامه عليه.

والحرب الخفية ضد الإسلام ليست بالحرب الحديثة أو المستحدثة. بل هي قديمة قدم الدعوة الإسلامية.. وتاريخها مليء بنشر البدع وإذكاء الفتن والدسائس بين المسلمين والتي نشأت وترتبت عليها الكثير من الحروب التي وقعت بين المسلمين والتي سقط ضحيتها الآلاف والآلاف من المسلمين بأيدي المسلمين. واستعراض ذلك الأمر قد يحتاج إلى مجلدات. ولو أطلنا في عرضه أو التطرق إليه دون إيجاز لخرجنا عن قضيتنا التي نحن بصدد بحثها وهي قضية عماد الدين والتي نحاول أن نستخلصها من بين قضايا الإسلام المعقدة والمتشابكة في عصرنا. فنكتفي بأن نذكر هذه الواقعة والتي هي من بدايات الحرب الخفية ضد الإسلام والتي وقعت بعد هجرة المصطفي ﷺ إلي المدينة وقد استتب الأمر له وللمسلمين بها بعد أن ألف الإسلام بينهم. فقد جاء في أسباب نزول هذه الآية التالية من سورة آل عمران كما جاء ذكره في مصادر أسباب النزول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) (آل عمران آية ١٠٠)

قال زيد بن أسلم: مرشاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد غبر في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم فمر علي نفر من

أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة فقال: قد اجتمع ملأ نبي قبلة هذه البلاد ،لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ،فأمر شاباً من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم فأجلس معهم ،ثم ذكرهم بعاث وما كان فيه وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. وكان بعاث يوما ، اقتتلت فيه الأوس والخزرج ،وكان الظفر فيه للأوس علي الخزرج وفعل فتكلم القوم عن ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين أوس بن قيظى أحد بني حارثة من الأوس ، وجابر ابن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا وقال أحدهم لصاحبه إن شئت ردد جدعاً ، وغضب الفريقان جميعا وقالا: ارجعا السلاح السلاح ، موعدكم الظاهرة وهي، فخرجوا إليها فانضمت الأوس والخزرج بعضهم إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ،فقال: يا معشر المسلمين أتدعون الجاهلية وأن بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ، فترجعون إلي ما كنتم عليه كفاراً، الله الله، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، فأنزل الله عز وجل –يا أيها الذين آمنوا – يعني الأوس والخزرج – إن تطيعوا فريقا من الذين أتوا الكتاب – يعني شاسا وأصحابه – يردوكم بعد إيمانكم كافرين – قال جابر بن عبد الله: ما كان طالع أكره إلينا من رسول الله ﷺ فاوماً إلينا بيده، فكففنا وأصلح الله تعالى مابيننا فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ، فما رأيت يوما أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخراً من ذلك اليوم.

وتتابع نزول الآيات كما جاء في رواية ابن عباس رضي الله عنهما والتي ذكرت بعد ما تقدم. فقد تتابعت الآيات حتى قوله تعالي فأنقذكم منها[1] وهذه هي الآيات التي قد تتابعت

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٠١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ

(١) كتاب أسباب النزول للواحدي النيسابوري – الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – وكذلك ما جاء في أسباب النزول للإمام السيوطي · كتاب التحرير : طبع بالقاهرة ١٣٨٥هـ

تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) (آل عمران آية ١٠١ـ ١٠٣)

تلك كانت إحدى الوقائع الأولى للحرب الخفية ضد الإسلام والتي نزلت فيها آيات بينات تتلى إلي يوم القيامة حتى يتذكر المسلمون كيد عدوهم ولا يأمنوا مكره. ولم تتوقف الحرب الخفية ضد الإسلام يوما واحدا.. بل تعددت أشكالها وأساليبها الخفية.. وحتى وان توقفت الحرب المعلنة ضد الإسلام في أى عصر من العصور فإن الحرب الخفية لا تتوقف.

وما نراه في عصرنا وما يعانى منه المسلمون في كل مكان في العالم إلا نتائج حرب خفية ذكية الأساليب متطورة الوسائل وإن اتسمت بالدناءة والانحطاط. ولذلك فهي أشد وطأة وخراباً على المسلمين مما هو معلن.

ومما هو جدير بالملاحظة والدراسة أيضا أن تلك البدعة.. أى بدعة قراءة القرآن من المصحف أثناء الصلاة والتي قد تسللت إلى دين الله دون أن يعلم فاعلوها أى حجة لها من السنة المطهرة كما بينا من قبل وكما أشرنا إلى أول مصحف للتهجد قد نشر أنه لم يستند إلى أية فتوى أو حجة من السنة الشريفة. ثم فصلت بعد ذلك الفتاوى العرجاء والتي لا سند لها من السنة المطهرة وكأن الأعرج قد تتطوع للأخذ بيد الكسيح. ومما هو جدير بالذكر أيضاً والإشارة إليه في ذلك الشأن أننا لم نسمع عن تلك البدعة ولم نرها إلا بعد حرب العاشر من رمضان الشهيرة بأعوام قليلة تلك الحرب التي أذهلت العالم أجمع وخيبت كل الحسابات العلمية للعدو وللصديق على حد سواء. فقد أجمعت كل الحسابات العلمية قبل السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م على أن المصريين إذا حاولوا عبور القناة واقتحام خط بارليف الحصين المنيع فسوف تكون خسائرهم ما بين السبعين والثمانين في المائة (٧٠٪-٨٠٪) بأقل التقديرات العلمية وقتها. وبرغم ذلك فقد تم العبور والحمد لله وقد تم أيضاً اقتحام خط بارليف وإصابة العدو بالشلل التام.. ومع ذلك فلم تتجاوز خسائر المصريين الإثنتي عشرة في المائة (١٢٪) وقد خابت بذلك كل الدراسات والحسابات العلمية. وكان على العدو أن يبحث عن أسباب تلك القوة العجيبة التي تسلح بها

المصريون والتي هي خارجة عن الحاسبات العلمية حتى يمكن ضربها والقضاء عليها. ولم تكن القوة العجيبة التي انتصر بها المصريون على العلم إلا العقيدة الراسخة في نفوس أبناء أرض الكنانة. والعقيدة في القلوب لايمكن ضربها علانية والقضاء عليها.. فكان لابد من حرب خفية ضد تلك العقيدة وتخريبها من داخلها فتنشأ أجيال خربة العقيدة متأرجحة الشخصية ضعيفة الانتماء للوطن فيمكن بذلك للعدو التعامل معها وتحقيق ما يصبو إليه العدو من مكاسب وأطماع دون خسائر تذكر. ففي تلك السنوات الست ما بين يونيو ١٩٦٧ إلى أكتوبر ١٩٧٣ فقد أخذت مصر بأسباب النصر الحقيقية التي بينها الله ورسوله فأعدت ما استطاعت من قوة كما أمر الله سبحانه وتعالى ولم تعتمد عليها.. فلم يشترط سبحانه على المسلمين أن يكونوا أقوي من عدوهم حتى يكون لهم النصر بل أمرهم فقط أن يعدوا ما استطاعوا من قوة بلا تقاعس **(وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ)** وعظموها بقوة الله أكبر تصير قوة عظمى لا تغلب ولا تقهر.. ولم لا وهو سبحانه القاهر والتي نسبت إليه القاهرة عاصمة أرض الكنانة. فلم ينتصر المسلمون في صدر الإسلام وفى عصر رسول الله ﷺ إلا وكانوا أقل عدة وعدداً من عدوهم.. فكذلك هو نصر الله وكذلك فعل خير أجناد الأرض.. فقد صمد جند مصر في مواقعهم طوال ستة أعوام في انتظار ساعة الثأر واسترداد الكرامة وتحرير الأرض السليبة من دنس العدو. وحينما حانت ساعة العزة والكرامة سبقت تكبيرات الرجال عبورهم للقناة فدكت خط بارليف وحصونه.. وألقت صيحة "الإيمان الله أكبر" الرعب في قلوب العدو من قبل أن تنهمر عليه حمم الرجال وقذائفهم. وانطلق خير أجناد الأرض في مظلة الله أكبر يضربون من عدوهم الأعناق ويضربون منهم كل بنان ويلهبون الثرى من تحت أقدامه ولا يبالون أنصر يكون أو شهادة.. فضحوا بالروح وجادوا بالدم الزكى الذي فاح عطره وانتشر شذاه فحلق النصر في سمائنا منتشيا بأريجه.. وعانقت الملائكة الأرواح الطاهرة قائلة مبشرة: هذه هي الجنة التي كنتم توعدون. وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

وما قدمنا إلا صيحة تحذير لقومنا من خطر قائم يحدوه خطر قادم هو محقق إذا لم يدرأ ذلك الخطر القائم ويقضى عليه تماما ، وما هي إلا تذكرة بتحذير

المولي عز وجل عن مخالفة أمر رسول الله ﷺ كما جاء في كثير من آي الكتاب وكما جاء في سورة النور إذ يقول عز من قائل:

فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(النور آية ٦٣)

ونعود إلي المسجد الحرام حيث ننتهي. وعند المسجد الحرام نتوقف في خشوع ونتجه إلي ولينا سبحانه وتعالي وندعوه ونبتهل إليه أن يصلى علينا ليخرجنا من الظلمات إلى النور

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (الأحزاب آية ٤٣)

وصلي الله وسلم على صاحب السنة المطهرة والتي من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل أبداً وعلى آله وصحبه وسلم. آمين.

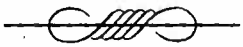

إنتبـــــاه

لقد مرت السنون مسرعات، وتلاحقت الأحداث، ولم أكن أتوقع أنني قبل أن أتمكن من نشر هذا الكتاب الذى يكشف حقيقة موضات الصلاة التى تزينت فى صورة التقوى والورع، والتى لم تنشر إلا فى عصرنا، وكأننا فى عصر التقوى والصلاح.. لم أكن أتوقع أنه سوف يبدأ الإعلان والدعاية لنشر أحدث الموضات فى عالم الصلاة وهى الصلاة على طريقة "الدانص" العالمية. فكما بينا فى هذا الكتاب أنه قد تم نشر الصلاة على الطريقة الإسرائيلية والصلاة على الطريقة الأمريكية. ولقد أشرنا فى رسالة لنا إلى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر وكذلك أيضا إلى فضيلة مفتي جمهورية إلى الصلاة من المسجل الذى توضع سماعاته على الأذنين، وكان ذلك مجرد استقراء لمستقبل الصلاة المريضة فى عصرنا،وكانت هذه الرسالة فى أغسطس ٢٠٠١، كما أشرنا إلى هذا الاختراع فى أكثر من موضع من كتابنا والذى صار فيما بعد واقع أليم ومخيف قد أخذ يتسلل فى الخفاء، ولم يستغرق ذلك زمنا طويلا،فسرعان ما تم الإعلان عنه فى أكبر الصحف القومية. فقد خرجت علينا جريدة الأهرام فى عددها٤٣٨٧٣- لسنة١٣١ فى الجمعة ٣٠من ذي الحجة١٤٢٧ ه- ١٩ يناير ٢٠٠٧م، وقد تصدر صفحتها الأولى إعلان بالألوان فى الجزء الأسفل من الجانب الأيمن منها يعلن عن جهاز لحفظ القرآن الكريم أثناء الصلاة بدون مجهود، وقد ظهر فى الإعلان صورة لرجل قد وقف وقفة الصلاة وقد وضع سماعات الجهاز على أذنيه، بينما وقفت امرأة بجواره فى الصورة وقد وضعت سماعات الجهاز هى الأخرى على أذنيها، بينما أمسكت بالمصحف بيدها اليسرى، وقد وضع جهاز الصلاة الإليكتروني أمامها.. وهكذا قد بدت أحدث الصور للصلاة المريضة فى عصرنا والتى قد صارت وكأنها مسرحية واحدة قد تعددت طرق إخراجها **(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)** (البينة٥) فالأمر جد خطير، والقضية ليست بالقضية البسيطة أو الهينة كما يظن الكثيرون، وسوف

نتناول ما طرأ عليها وماجد فيها بالتفصيل إن شاء الله فى الطبعة القادمة والذى لم نتمكن من نشره فى هذه الطبعة والله المستعان، عسى أن تخرج هذه القضية إلى النور وأن تأخذ حجمها الطبيعي وأن تعطى حقها من الاهتمام والمعالجة من أولى الأمر من والقائمين على شئون الدين، والذين لم يهتموا بهذه القضية وأهملوها سنين طويلة حتى صار أمر الصلاة نهبا للآراء والأهواء والموضات والاختراعات ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا ألا نكون من الذين قال سبحانه وتعالى فيهم:

" وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون" (آل عمران ١٨٧)

وعسى أيضا أن لا نكون من الذين قال الحق سبحانه فيهم:

" إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون". الأنعام١٥٩.

وصلى الله على صاحب السنة المطهرة والتى من يتمسك بالكتاب وبها فلن يضل أبدا وعلى آله وصحبه وسلم. أمين

المـــؤلف

محمود حسين محمد شفيق

الملاحـــق

ملحق رقم (١)

فكر دينى ■ ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١ ■ ٢٧

● فتـــوى ●

القراءة فى الصلاة من المصحف

□ هل يجوز قراءة القرآن من المصحف للإمام فى صلاة الفريضة والنافلة؟

وهل يجوز للمأموم متابعته فى القراءة من المصحف؟

●● يجيب عن هذا السؤال فضيلة الشيخ عبد الرحمن يعقوب فيقول:

نعم يجوز ذلك عند جمهور العلماء ولايجوز عند الامام ابى حنيفة وقد استدل جمهور العلماء على الجواز بانه لم يدل على المنع دليل، وبما رواه مالك من ان ذكوان مولى السيدة عائشة رضى الله عنها كان يقوم فى رمضان من المصحف. وسئل الزهرى عن رجل يقرأ القرآن فى رمضان من المصحف، فقال: كان خيارنا يقرأون فى المصاحف. لكن المالكية كرهوا القراءة من المصحف فى صلاة الفريضة، وذهب البعض إلى كراهية متابعة المأموم للامام من المصحف. ولو قلب أوراق المصحف فلا بأس لأنه يعتبر فى هذه الحالة من أعمال الصلاة والراجح جواز القراءة للامام والمأموم من المصحف فى الصلاة، لكن الأولى للمأموم تركها، وإذا فعل فلا تبطل صلاته.

ملحق رقم (٢)

وزارة العدل

دار الإفتاء المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

" الحمد لله وحدة والصلاة والسلام على من لا نبي بعدة "

اطلعنا على الطلب المقدم من المواطن / محمود حسين محمد شفيق المقيد برقم ١٣٤١ لسنة ٢٠٠١ والمتضمن :- السؤال الآتي : ما حكم قراءة القرآن من المصحف للإمام والمأموم في صلاة الفرض والنفل ؟

الجـــــــــــواب

أختلف الفقهاء في حكم القراءة من المصحف للإمام والمأموم في صلاة الفرض والنفل على عدة أقوال : ذكرها بن قدامه في المغني فقال : " قال أحمد : لا بأس أن يصلي ـ أي الإمام ـ بالناس القيام وهو ينظر في المصحف . قيل له : في الفريضة . ، قال : لا . لم أسمع فيه شيئاً ، وقال القاضي : يكره في الفرض ولا بأس به في التطوع إذا لم يحفظ ، فإن كان حافظاً كره أيضاً ، قال : وقد سئل أحمد عن الإمامة في المصحف في رمضان .فقال : إذا اضطروا إلى ذلك ، نقلة على بن سعيد وصالح وابن منصور ، وحكى عن أبن حامد أن النفل والفرض في الجواز سواء . وقال أبو حنيفة : تبطل الصلاة به إذا لم يكن حافظاً لأنه عمل طويل . وقد روى أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف باسناده عن أبن عباس قال : " لهانا أمير المؤمنين أن نؤم الناس في المصاحف وأن يؤمنا إلا محتلم " أخرجه أبو داود . وروى عن ابن المسيب والحسن ومجاهد وإبراهيم وسليمان بن حنظله والربيع كراهة ذلك . وعن سعيد والحسن قالا : تردد ما معك من القرآن ولا تقرأ في المصحف . والدليل على جوازه ما روى أبو بكر الأثرم وابن أبي داود باسنادهما عن عائشة أنها كانت يؤمها عبد لها في المصحف ، وسئل الزهري عن رجل يقرأ في رمضان في المصحف

فقال : كان خيارنا يقرأون في المصحف ، وروى ذلك عن عطاء ويحيى الأنصاري ؛ وعـن الحسن ومحمد في التطوع ، ولأن ما جاز قراءته ظاهراً جاز نظيرا كالحافظ ولا نسـلم أن ذلك يحتاج إلى عمل طويل وإن كان كثيراً فهو متصل . واختصت الكراهة بمن يحفظ لأنـه يشتغل بذلك عن الخشوع في الصلاة والنظر موضع السجود لغـير حاجـة . وكـره في الفرض على الإطلاق لأن العادة أنه لا يحتاج ذلك فيها ، وأبيحت في غير هذين الموضعين لموضع الحاجة إلى سماع القرآن والقيام به " . (١)

وفي واقعة السؤال وبناءً على ما سبق : فإنه يجوز الصلاة خلف إمام يقرأ في المصحف في النفل عموماً والتراويح خصوصا لغير الحافظ للقرآن ويكره ذلك في الفـرض ولـو لم يكن حافظاً أو في النفل إذا كان حافظا لعدم الحاجة إلى ذلك ، والحكمة في الكراهة حـتى لا يشتغل الإمام بتقليب أوراق المصحف أو بحمله ووضعه والنظر فيه فينتفـي الخشـوع المطلوب في الصلاة كما أن ذلك ينطبق على المأموم أيضاً للحكمة السابقة .

ومع ذلك فالأولى والأرجح أن يؤم الناس من كان حافظاً للقرآن وأن ينتبه المأموم لقـراءة الإمام ولا يشغل باله بمتابعته من المصحف حتى يتحقق الخشوع المطلوب في الصلاة .

وفي جميع الأحوال السابقة فالصلاة صحيحة ولا تبطل بحركة تقليب المصحـف وحملـه ووضعه سواء كان ذلك من الإمام أو المأموم لأنها حينئذ تكون من أعمال الصلاة وليست خارجة عنها .

ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال .

والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم

طه الرشيدي

أ . د / نصر فريد واصل .

(١) المغني لابن قدامه طبعة دار الحديث جـ ٢ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

ملحق رقم (٣)

موافقة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف على طباعة هذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهـــر
مجمـع البحـوث الاســلامية
الادارة العـــامة
لبحـوث والتـاليف والترجمـة

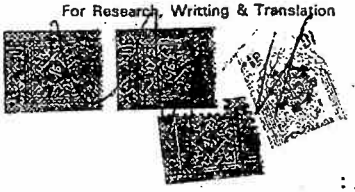

السـيد / محمود حسين محمد الشريف

السـلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : "الصلاة بين السنة والتنزيل"
تأليف ..... (عدد الصفحات ١٢٦ صفحة) مائة وعشرون صفحة

نفيد بان الـكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتـكم الخـاصة .

مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية الشريفـة .

واللـــه المـــوفق ،،،

والســلام عليـكم ورحمـة اللـه وبركاته ،،،

مدير عـام
ادارة البحوث والتـاليف والترجمـة

تحريرا فى ١٧ / شوال / ١٤٢٦ هـ
الموافق ١٩ / ١١ / ٢٠٠٥ م

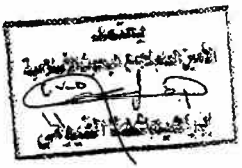

الفهـــــــرس

مقـــــــدمة ٥

الباب الأول من يحمي عماد الدين من التبديل.. ؟؟! ٧
المقال الأول حول الحرب المعلنة ضد الإسلام والحرب الخفية ٨
المقال الثاني من يحمي عماد الدين من التبديل ؟! ١٩
المقال الثالث من يحمى عماد الدين من التبديل!؟ ٢٥

الباب الثاني فتوى دار الإفتاء ٣٣
الفصل الأول فتوى دار الإفتاء والرد العاجل ٣٧
الفصل الثاني فتوى دار الإفتاء والرد الفصل ٤١
الفصل الثالث حول واقع الصلاة وخلاصة القول ٥١

الباب الثالث تفرقوا شَذَرَ مَذَرَ ٥٧
الموقف الأول ٥٨
الموقف الثاني ٦٠
الموقف الثالث ٦٠
الموقف الرابع ٦١
الموقف الخامس ٦٢
الموقف السادس ٦٤
الموقف السابع ٦٦

الباب الرابع عودة إلى مفهوم الصلاة ٦٧
أولاً: خلافات بين عوام المسلمين ٦٨
ثانياً: خلافات بين أولي الأمر أو علماء الأمة ٦٨
ثالثاً: خلافات حول تطبيق أي أمر من أمور الدين ٦٩
رابعاً: خلافات حول مفهوم أي أمر من أمور الدين ٦٩
أولا: الصلاة ومعناها في الجاهلية الدعاء: ٧١
ثانياً: بعض أنواع الصلاة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ٧١
ثالثاً: صلوات من الله سبحانه وملائكته على النبي ﷺ ٧٢
رابعاً: صلوات من المؤمنين على النبي ﷺ ٧٢
خامساً: صلوات من النبي ﷺ على المؤمنين ٧٤

سادساً: الصلاة المفروضة على المسلمين ٧٥
مفهوم الصلاة في أعمال الصلاة ٧٩
مفهوم الصلاة في فاتحة الكتاب ٨١

خـــــــاتمة ٨٥

انتباه ٩٣
الملاحـــــــق ٩٥
ملحق رقم (١) ٩٥
ملحق رقم (٢) ٩٦
ملحق رقم (٣) ٩٨

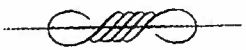

رقـــم الايـــداع
٢٠٠٧ / ١٧١٦٧

الترقيم الدولي I.S.B.N. 977-209-168-2

لا إله إلا الله محمد رسول الله

حضارة ومنهج حياة

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعـــة الأولـــى

الناشر : المكتب المصرى الحديث

البريد الإلكتروني : almaktabalmasry@hotmail.com

القـــــاهـــرة : ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت : ٣٩٣٤١٢٧

الأسكندريـــة : ٧ شـــارع نوبـــار المنشيـــة ت : ٤٨٤٦٦٠٢

المطابـــــــع : طريق مصر اسكندرية الزراعي ك ١٠ ت : ٧٤ / ٤٤٤١٠٧٠